الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد بوضياف بالمسيلة
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

الرقم التسلسلي: ...../.....
رقم التسجيل ط1: 1535114302
ط2: 1535112017

مذكرة مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر تخصص: الأدب العربي الحديث والمعاصر

بعنــوان:

نماذج المهمّشين في روايتي :
"الورم" و"عشب الليل" لإبراهيم الكوني

إعـداد الطالبتين:
- بوشارب صبرينة
-عطاالله أحلام

أمام لجنة المناقشة المكونة من السادة الأساتذة:

د/ زعيتري محمد	جامعة المسيلة	رئيسا
د/ مجناح جمال	جامعة المسيلة	مشرفا ومقررا
د/ بن الشيخ ع الغني	جامعة المسيلة	ممتحنا

السنة الجامعية: **2019م/2020م**

بسم الله الرحمن الرحیم

شكر وعرفان

أتقدم بخالص الشكر وفائق الاحترام إلى أستاذنا "مجناح جمال" الذي تفضل بقبول الاشراف على هذه المذكرة، وكذلك الشكر موصول للجنة المناقشة لكل من الأستاذ"بن الشيخ عبد الغني" والأستاذ "زعيتري محمد" اللذان تفضلا بقبول هذا العمل.

كذلك كل الشكر والعرفان وأسمى عبارات الامتنان لكل من الأستاذ "أنيس فيلالي"من جامعة 20 أوت 1995 والأستاذ "محمد الصديق بكراوي" من جامعة أدرار اللذان ساعدانا على إتمام هذه المذكرة ولم يبخلوا علينا بالنصائح والتوجيهات لهما كل الشكر والاحترام والتقدير.

كذلك الشكر موصول لكل من أنار لنا الطريق من أهل وأصدقاء

وآخر دعوانا أن الحمدالله رب العالمين

أحلام

إهـداء

أهدي هذا العمل المتواضع:

إلى قبس النور والعطاء الرباني، والدتي الغالية رحمها الله.

وإلى روح زوجي الغالي رحمه الله.

إلى والدي العزيز حفظه الله.

إلى مصدر قوتي وقرة عيني أولادي(روميصاء، رامي، عبد الرحمن، ريمة)

إلى إخوتي وأخواتي وكل أقاربي حفظهم الله.

ومن أحببتهن بالله صديقاتي مع تمنياتي لهن بالنجاح

صبرينة

مقدمة

مقدمة:

لاشك أن الرواية العربية عبر مراحل تجريبها تطرقت لمواضيع مختلفة، ولعل من هذه المواضيع الهامش والمركز في المدينة العربية، حيث أن الرواية تنطلق من الواقع الاجتماعي وتناقضاته الاجتماعية الديكتاتورية ومن ثمة تبني على ذلك سرديتها التخييلية.

يشكل المنجز الروائي المغاربي علامة مميزة في تاريخ الرواية العربية الحداثية والمعاصرة، فالرواية بلا شك تعد من أهم الأجناس الأدبية، لما تملكه من قدرة هائلة على استيعاب التطورات التي يشهدها المجتمع وتعد الرواية المغاربية على وجه الخصوص هي نتاج رائد للعملية الإبداعية العربية المعاصرة.

لقد أنيط للرواية العربية هدف نبيل وهو التعبير عن الإنسان العربي وكتابة تاريخ المضطهدين الذين همّشوا في مجتمعاتهم، كتابة تاريخ لا تاريخ لهم، تاريخ إنسانية مقموعة منسية لسبب أو لآخر.

يعد"إبراهيم الكوني" من أبرز الروائيين العرب الذين شهدت الرواية تألقها على أيديهم بفضل إبداعاته المتعاقبة، فقدم مشروعا روائيا منفتحا على مجالات تخيلية، زاوج فيها بين العديد من النصوص التراثية، فجاءت غنية بقضايا مصيرية شغلت بال الإنسان " الترقي" بصفة خاصة والإنسان العربي بصفة عامة، فجاءت نصوصه تحمل في طياتها روح الحضارة الترقية، وكل ما احتوته من أنظمة اجتماعية واقتصادية، إضافة إلى قيمها ومعتقداتها محاولا بذلك تحديد هوية هذا المجتمع وما يحمله من قدرات وأصول تاريخية.

ومن بين الروايات العربية التي تصدرت لتشريح علاقة المركز والهامش روايتي "الورم وعشب الليل" لإبراهيم الكوني ليأتي هذا البحث موسوما ببعض قضايا مسكوت عنها، ليفضح ممارسات السلطة الجائرة وتعدياتها مسلطا الضوء على الفئة المهمّشة والمنسية.

ويعود سبب اختيارنا للبحث كموضوع لدراستنا إلى سببان: موضوعي وذاتي، ليتمكن السبب الموضوعي في محاولتنا للبحث في تشذرات الأنا والآخر وعلاقتهما إيجابا وسلبا في الثقافة العربية، كما أن قضية الهامش والمركز تمثل اليوم جوهر الصراع بين دعاة الوطنية والتفتيت ذلك أن الغربي يريد استغلال الآخر المهمش إجماعا من أجل خلق تفتيت المجتمع ومن ثمة كانت خطورة هذا الموضوع. أما السبب الثاني: فهو ولعنا بالكتابة الروائية عند إبراهيم الكوني الذي يجمع ببراعة بين الواقع والخيال هذا ما جعلنا نميل لاختيار بعض رواياته للاشتغال عليهما في دراستنا، فانتقينا الروايتين" الورم وعشب الليل" هذه التي تربط بين خيوطها تيمة الموت وتتسرب منها بغزارة مظاهر التهميش، شكلا ومضمونا، ما يعزز مساعينا، وأهدافنا في الدراسة.

تنطلق إشكالية هذا البحث من سؤال مركزي مفاده: كيف تجلى الهامش في روايتي إبراهيم الكوني؟

تتفرع عن هذه الإشكاليات إشكالية صغرى:

-مالجمالية السردية التي وظفها "إبراهيم الكوني" في الروايتين؟

-ما القضية التي عالجها "الكوني" عبر شخصياته؟

-إلى أي مدى استطاع الكوني التجديد في الكتابة الروائية والتعبير عن أوضاع المجتمع العربي؟

وللإجابة عن هذه الإشكالية اتبعنا خطة البحث الآتية: مقدمة ومدخل وفصلين وخاتمة ومجموعة من الملاحق، في مقدمة البحث سعينا إلى التعرف على الرواية العربية بصفة عامة والرواية المغاربية بصفة خاصة. في المدخل قمنا بضبط مفهوم الهامش اللغوي والاصطلاحي ومفهوم أدب الهامش وتعريفه على جميع المجالات "اجتماعيا، اقتصاديا، سياسيا، أدبيا".

في الفصل الأول: يتحدث عن الهامش والنماذج الإنسانية في الروايتين، يتضمن الشخصيات الرئيسية والثانوية وشخصية المرأة المهمّشة .

أما الفصل الثاني: يتحدث عن الهامش والنماذج الاجتماعية، تمثلت في معرفة مجتمع الطوارق الذي ينتمي إليه "إبراهيم الكوني"، كذلك نماذج أخرى كالظلم والانتقام، اللباس، العزلة، السواد، الظلمة.

كذلك أدرجنا ملحقا متضمنا ملخص الروايتين و سيرة الروائي الليبي "إبراهيم الكوني"، وأهم مؤلفاته، وختمنا بحثنا بخاتمة ذكرنا فيها أهم النتائج التي توصلنا إليها من خلال هذه الدراسة. أما منهج الدراسة فهو في معظمه منهج وصفي تحليلي وأحيانا نستعين بالمنهج التاريخي حين سرد الأحداث التاريخية للأشخاص، أما في تطوير وتجليات الهامش في الروايتين اعتمدنا كثيرا على المنهج الوصفي التحليلي بغية الوصول والكشف عن مضامين الروايتين للأصول الشعبية التراثية وعلاقتها بالفئة المهمّشة، واعتمدنا على مجموعة من المصادر والمراجع نذكر منها: مصادر أساسية هي "رواية الورم وعشب الليل"، وهما موضوع الدراسة ومن المراجع نذكر منها:

-رواية الورم لإبراهيم الكوني ونبوءة الربيع العربي فيصل أبو الطُّفَيل (بحث ودراسة تحليلية)

-أمل رشيد قداسة الناموس وسلطته في أدب إبراهيم الكوني(مقال).

-دليلة الباح إشكالية المركز والهامش (مفهومه، أنواعه، جذوره)، (مجلة)

-سعيدة خلوف انطولوجيا الأدب الهامشي بين النقد والوظيفة(مجلة)

وكأي بحث لا يخلو من الصعوبات، واجهتنا صعوبات نذكر منها جائحة كورونا التي بسببها انعدم اللقاء مع بعضنا ومع الأستاذ المشرف، فكان التواصل بيننا عبر شبكة

التواصل الاجتماعي والبريد الالكتروني فقط ، دون حضور مباشر. كذلك قلة الخبرة والتجربة وصعوبة التحكم في المراجع.

وفي الأخير نشكر الله تعالى ونحمده على عونه وعطائه، وكل الاحترام والتقدير لأستاذنا الدكتور "**جمال مجناح**" الذي كان عونا لنا على عملنا هذا، له خالص الشكر والامتنان دعواتنا لله أن يحفظه ويرعاه.

المدخل

المدخل

- **الهامش ومفاهيمه:**

لاشك أن مفهوم الهامش مفهوم جديد، جاء في إطار نقد الحداثة وهدم المركز الأنطولوجي والمعرفي، تجلى ذلك خاصة في مقولات دريدا التفكيكية الذي نادى بتفويض المركز حال محله الهامش، إذ لم يعد الهامش شيئا محتقرا بل أصبح مدار للعملية النقدية بامتياز، وقد ساعد في صورة مفهوم الهامش، كذلك النقد الثقافي الذي نادى بالخروج عند النقد الرسمي وجمالياتها المقنعة، ومن ثمة وجب علينا أولا بيان مفهوم الهامش لغة واصطلاحا حتى نزيل كل لبس ونقف أمام التحديد السليم لمفهومه يجب تعريفه لغة واصطلاحا.

أولا: مفهوم الهامش لغة واصطلاحا:

أ/الهامش لغة: جاء في لسان العرب لابن منظور:<<...همش :الهَمْشَة: الكلامُ والحركة، هَمَشَ، وهَمِشَ القومُ فهم يَهْمَشُونَ ويَهْمِشُونَ وتَهَامَشُوا والمرأة هَمَشَى الحديثِ بالتحريك تُكْثِرُ الكَلاَمَ و تُجَلَّبُ ..وَهَمَشَ الجَرَادُ:تحرَّك لِيَثُورَ. والهَمَشُ:العَضُّ، وقيل:هوسُرعَةُ الأكلِ. ويقول ابن الأعرابي: الهَمْشُ والهَمَشُ كَثْرَةُ الكلام والخَطَلِ في غير صواب، وأنشد:

وهَمِشُوا بِكَلِمٍ غير حَسَنْ>>[1].

فالهامش هو الكلام غير المجدي ومثال ذلك المرأة الثرثارة، تكثر الكلام والحركة فتحدث بهما الجلبة، فالكلام والحركة عندما أضيف إلى الهامش دَّل على صفة سلبية [2].

---

(1) أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب، مج 6،دار صادر، بيروت، لبنان، دط، دت، ص365.

(2) دليلة الباح، المركز والهامش(مفهومه، أنواعه، جذوره) مجلة قراءات، مخبر وحدة التكوين والبحث في نظريات القراءة ومناهجها، العدد الرابع2012 ، جامعة بسكرة ص303.-http://lab.unv-bisskra.dz/labreception/images/labreception/revue_quiraat04/15.pdf.

أما في معجم الوسيط:<<(هَمَشَ) الرجلُ هَمْشاً:أكثر الكلام في غير صَوَاب. والقومُ:تحرَّكوا. هَمَّش الكتاب:علق على هامشه مايَعْنُّ له. الهَامشُ: حاشية الكتاب وفُلاَن يعيش على الهامش لم يَدخل في رحمة النّاس (محدثة)[1].

ونستنتج مما سبق أن المفهوم اللغوي للهامش في المعاجم العربية القديمة يعني الأدب المهمش غير الرسمي حيث نلاحظ أن العرب القدماء لم تكن لهم دراسة لهذا المصطلح بل جعلوه مهمّشا غير معترف به وأنه لغوا لاطائل منه ولا يمكننا الاستفادة منه.

ب /الهامش اصطلاحا:

تعددت تعريفات الهامش عند الباحثين والنقاد لصعوبة تحديده وهذا راجع إلى شمولية الهامش، لأنه يمس العديد من الجوانب، ويتطرق للكثير من االقضايا الجوهرية الحساسة، وتصنيفه، فتم نبذه على إثر ذلك واستبعاده نهائيا من التداول، وتصنيفه على أنه أدب متمرد حيث نجد تعريف الهامش في عدة مجالات منها:اجتماعيًا، اقتصاديًا، سياسيًا، أدبيًا.

ثانيا/الدراسات في الهامش:

أ /الهامش اجتماعيا:

لقد قدم علم الاجتماع الذات المهمّشة ذاتا فاعلة بإمكانها تأسيس ثقافتها وإثبات هويتها، إذ بإمكانها تجسيد أشكال من الفعل الجماعي الذي يرقى إلى مستوى الحركات الاجتماعية فالتنظيرات المعاصرة لم تتعامل إذن مع الذوات الهامشية على أنها ذوات سلبية تقبل بما تمليه عليها ثقافة المركز[2]. فالمنطقة الهامشية هي:"...إقليم يقع على هامش منطقة ثقافية معّينة تلتقي فيه ثقافات أو أكثر، وتحلُّ فيه السِّمات الثَّقافية للثقافات المجاورة "[3].

---

(1) إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، مصر، ط4، 2004م، ص994.

(2) أحلام بن الشيخ، الواقعية وصناعة رواية المهمشين في المنظورين الاجتماعي والنقدي، مجلة مقاليد، العدد14، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة(الجزائر)، جوان 2018، ص31.

(3)محمد عاطف غيث، قاموس علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، السويس، مصر، د ط، د ت، ص277.

فتهميش الجماعة يأتي من انبهارها بسمات ومميزات المركز، فتتخلى عن عاداتها وتقاليدها، تحصل لعلها على مكان مرموق في مساحة المركز، ولكن للأسف ما إن تتخلى الجماعة على مميزاتها حتى تجد نفسها أضحت ظلّا لهذا التَّوهج السَّاطع فلا يمكنها العودة ما كانت عليه، كما أنها لا تتمكن من الوصول إلى مصدر هذا الضوء الساطع مهما اختلفت وتعددت سبلها [1].

ب/الهامش اقصاديا:

ويقصد بدول الهامش، الدول السائرة في طريق النمو من قارة آسيا وإفريقيا وأمريكا اللاتينية، فتعتمد هذه الدول على تصدير مواد الخام والمواد الأولية، واستخدام مفهوم الهامشية لأول مرة كان «...لوصف الاخفاقات الاجتماعية المروعة والتي لحقت بالمعجزة الاقتصادية البرازيلية، لأن إنجاز المعدلات المرغوبة في النمو الاقتصادي والتصنيع قد أفضى إلى حدوث خسارة كاملة في العاملة الصناعية»[2]. فبفضل التطور التقني والصناعي حلت الآلة مكان العامل وتعرض للتسريح من مكان عمله. وبالتالي توقفت أجرته، واستخدم أيضا الهامش لعزل الدول وإبعادها عن التدابير الاقتصادية العالمية وأطلق عليها بالعالم الرابع لأن هذا العالم لايملك المواد والأسواق المحلية التي في مقدورها جذب المستثمرين الأجانب فإنه لم يعد يستطيع المشاركة بشكل مؤثر في التدابير الاقتصادية العالمية [3].

الهامش الاقتصادي فيه هيمنة الأنا تصنيعا وتفوق على الآخر مما يجعله مستهلكا تابعا ويفقد مع هذه التبعية كل مقومات الذاتية [4].

---

(1) دليلة الباح، المركز والهامش،(مفهومه، أنواعه، جذوره)، جامعة بسكرة، ص304

(2)ميشيل مان، موسوعة العلوم الاجتماعية، ترجمة عادل مختار الهواري، دار المعرفة الجامعية، مصر، دط، 1999، ص412.

(3) دليلة الباح، المركز والهامش،(مفهومه، أنواعه، جذوره)، جامعة بسكرة، ص304.

(4) أنظر، جمال مجناح، جدل المفاهيم في موضوعة الهامش والمهمشين، قراءة تحليلية لمصطلح الهامش والمصطلحات المجاورة، جامعة المسيلة(الجزائر)، ص 07.

ومما سبق يمكن القول أن الهامش في مفهومه الاقتصادي يرتبط بالاطار الاقتصادي وضروراته الاقتصادية، ذلك أن الهامش يعني مناطق الفقر التي تعيش الحرمان إذ أن التوزيع غير العادل لها هو المسبب لظهور الهامش.

ج /الهامش سياسيا:

ينظم الجماعة نظاما سياسيا معينا، ومساهمة الأفراد ضرورية لنجاح الجهد الجماعي لكن قد تتعارض رغبات الأفراد مع رغبات الجماعة، ويحدث بينهما التنافس والتنازع فيهمش بعض الأفراد عن الجماعة وهذا ماحدث للصعاليك في عرف النظام القبلي[1].

كما أن السسلطة «...هي التي تقوم على القوانين وحفظها وتطبيقها ومعاقبة من يخالفها، وهي التي تعمل على تغييرها وتطويرها كلما دعت الحاجة» [2]. ومن جهة أخرى يؤثر الرأي العام على السلطة السياسية في سلطة مجسدة، فينبغي على الرئيس أن يراعي في أحكامه موقف أنصاره وعماله ومواطنيه وعلى «...الأمير قبل كل شئ أن يحترز من أن يبغض أو يحقر، وعليه، أنن يتحاشى كل ما من شأنه أن يجعله بغيضا ومحتقرًا » [3].

لأن البغض والاحتقار ينتج عنهما الانقلاب والعصيان والحركات الثورية، التي تختلف هي نفسها من حيث الشكل والأسلوب اختلافا كبيرا، أحزاب سياسية، مؤتمرات وجمعيات سرية . ولتفتيت المركز السياسي هناك طريق تقليدية، وهي الإستعمار المباشر بما يحمله من حرب ودمار، ونفي الحكام أو موتهم في ساحات المعارك، وبطريقة حديثة تتمثل ما يسمى بالإستعمار غير المباشر، وميزة هذه الطريقة هي أنها تقوم بالثورة دون إطلاق رصاصة واحدة وفقا لمظاهرات شكلية وشرعية وتستخدم االهامش لإشعال فتيل الثورة [4].

---

(1) دليلة الباح، المركز والهامش، ص305.

(2) ينظر: جان وليام لابيار، السلطة السياسية، ترجمة إلياس حنا إلياس، منشورات عويدات، بيروت لبنان، ط1، 1974، ص49.

(3) ماكيا فلي، الأمير، ترجمة محمد البار، دار الأمة، برج الكيفان، الجزائر، ط1، 1998م، ص88.

(4) دليلة الباح، المركز والهامش، ص305-306.

ونستنتج مما سبق أن الهامش سياسيا يقتضي فعلا غير ديمقراطي تمارسه الأنظمة القمعية على مواطنيها محققة بذلك تهميشا للرأي المعارض واحتكار السلطة . إلا أن الأنظمة الدييمقراطية قد يكون فيها حضورا للهامش السياسي من خلال الأحزاب التي لا تشكل إقتصادية ذلك أن تمثيلها هامشي لا غير أي غير منتشر.

د/الهامش أدبيا:

ويطلق عليه بالأدب الدوني ويسمى "بالأدب السوقي"، وأحيانا "بالآداب الهامشية"، وهو قطاع تجاهلته الكتب والبرامج الإشهارية والمناهج التربوية. << وهو كل أدب ينتج خارج المؤسسة سواء كانت سياسية أو اجتماعية أو ثقافية أو أكاديمية>>[1].

وبذلك عُدَّ كل أدب متمرد على السلطة والتقاليد أدب هامش فحكم عليه بالموت، لأنه تجاوز المألوف تحديا للكتابة الكلاسيكية ولقواعد الكتابة المألوفة، ويشير" جابر عصفور" إلى هذه القضية بأنها:<< ليست سلطة الدولة، ولكنها سلطة الكتابة الكلاسيكية الرومانية التقليدية، فكل كتابة تخرج عن النسق المألوف تعتبر كتابة هامشية >> [2].

فأدب الهامش فهو الأدب الثائر على النزعات السائدة، والخارج عن مألوف الآداب والفنون، والمتمرد على الضوابط حتى الضوابط التي تحكم الأجناس الأدبية.

ومن الدارسين من يرى أن الأدب المهمش هو:<< أدب المغضوب عليهم من طرف المؤسسة >> [3].

---

(1) حسن البحراوي، أدب محمد شكري من الهامشية إلى المركزية، مجلة إعلاميات، العدد18، مكناس، المغرب، 2002، ص9، يوم2017/03/21 الساعة11:53، http://www.saidbengrad.net/al/n18/pdf18/2-18.pdf

(2) خليل سمية ومشقوق هنية، الأدب النسوي بين المركزية والهامش.، http://revues.univ-ouargla.dz/index.php/02-2012/102-2013-04-24-10-51-18.htmlaf بتاريخ2017/03/21، ص113.

(3) أنظر:كمال الريحاني، الفلسفي في عشب الليل لإبراهيم الكوني، ينظر الموقع:, http www.diwanalarab.com بتاريخ12 جانفي2007م، 11:48.

وعليه فأدب الهامش يبقى مستبعدا عن الحياة الثقافية، التي تحياها الأمة والدولة التي يوجد فيها، ولا يلتفت إليه إلا من قبل الجسورين الذين يريدون أن يعيشوا حياتهم بكل حريتهم، أو من المعارضين لأنظمة الحكم، ولا يقدم له يد العون مادام معارضا للسلطة، ولا يحتفي بها.

هذا ما جعل أدباء الهامش يعيشون في الظل البعيد ويفقدون الأمل في البروز، ويرضون بالحياة مع المهمشين[1].

ومنه نستنتج أن الهامش من منطلقاته الأدبية الأولى كان يدل على الأدب السوقي باعتباره ممثلا للأدب العوام فهو بذلك لا يرتقي إلا مضاف الأدب الرسمي الذي مثلته المرجعية الغربية.

ثالثا/مفهوم أدب الهامش: << شاع تعبير "أدب الهامش/المهمشين " Marginated Literature في السنوات الأخيرة شيوعا واسعا، وتبعا لذلك انتشرت فكرة الهامش منطلقة من ديناميكية التخلي والنبذ، وهي بالضرورة تختلف عن فعل التجاهل واستراتيجية العزل >>[2]. وينبغي الإقرار بصعوبة تحديد مفهوم جامع ل"أدب الهامش" لتعدد جوانب هذا الهامش:(الهامش الاجتماعي والهامش السياسي والهامش الثقافي والهامش الديني والهامش الإيديولوجي)، غير أنه يمكن إيراد عدة تعريفات منها: هو الأدب الذي نشأ في العتمة، بعيدا عن الأضواء. أو هو الأدب الذي لا يُحتفى به. أو هو الأدب المختلف عن الأدب المألوف [3].

---

(1) صورية جيجخ، المركز والهامش في روايات عز الدين جلاوجي، شهادة دكتوراه، تخصص أدب عربي حديث و معاصر، جامعة محمد خيضر، بسكرة(الجزائر)، 2016/2015، ص49.

(2)خالدربيع السيد:بعد تفتيتها للقوميات والكيانات الكبيرة، العولمة تنفخ الروح في أدب المهمشين، www.okaz.com.sa/okaz/20070606/Cat2007060623590.htm-16k. بتاريخ 2009/02/15.

(3) سعادة لعلى، أدب الهامش...نغمة للغناء وأخرى للبكاء، (مقال)، كلية الآداب واللغات، جامعة محمد خيضر، بسكرة، Laala.chi3r@hotmail.fr

رابعا/ تاريخ أدب الهامش:

أ/عن العرب:

إن فكرة الهامش قديمة، يظهر قدمها إذا تحررنا من لفظها ولاحظنا أن أفكار القمع والقهر

والاستغلال التي طالما تحدثت عنها البشرية تشير ضمنيا إلى فكرة الهامش.

وفي مجال الدراسات الأدبية من الصعب أن نجد متحدثا يتناول شعر الصعاليك في العصر الجاهلي، ولا يقارب هذه الفكرة، وقد تحدث عن الهامش الباحث التونسي"الطاهر لبيب" في كتابه(سوسيولوجيا الغزل العربي):الشعر العذري أنموذجا. وقد ألفه بالفرنسية، وترجمه إلى العربية:محمد حافظ ديّاب، ويتناول الكتاب وضعية الهامش لفئة العذريين، وسبب تهميش العذريين أنهم شببوا بنساء في مجتمع يراعي حرمة المرأة.

وقد تعمقت فكرة الهامش بعد الإسلام، بعد تعمق التناقض بين البدو والحضر، وأدى اضطرت إلى أن تعتمد على اتاوات تناولها اليهود[1].

نشأ أدب الهامش مرتبطا بحركات المعارضة المتنوعة سواء كانت سياسية أو اجتماعية أو فنية، وهي ليست وليدة القرن العشرين بل ولدت مع ولادة الأدب نفسه، لكنها تجلت بجدة أكثر في هذا القرن بسبب تحقيق الديمقراطية االتي منحت نوعا من الحرية لهذه المعارضة [2]. وبالضبط في العقد التاسع منه، حتى اقترح بعض الباحثين أن يسمى هذا الأدب بأدب التسعينات.

---

(1) سامية سعيد عمّار, دروس أدب الهامش، جامعة الإخوة منتوري قسنطينة، كلية الآداب واللغات، السنة الجامعية 2019-2020م، ص 13.

(2) سعيدة خلوفي،انطولوجيا الأدب االهامشي بين النقد والوظيفة(رواية الخيال العلمي أنموذجا)، مجلةالأثر، العدد24 ، جامعة باجي مختار عنابة (الجزائر) ، مارس 2016م، ص942.

ب /عند الغربيين:

اهتم المقارنون بحقل أدب الهامش في محاولة للكشف عن الأنواع الأدبية التي ترافق الأدب الرسمي، من خلال القاء الضوء على العلاقات الأدبية بين مختلف الأمم التي تبدوا أكثر تجليا في الآداب الشعبية.

أماعن بداية الاعتناء بهذه الكتابات، فكانت في جامعة بوردو بين سنتي(1961_1963) الذي طرح قضية الآداب المتعالية والآداب الدنيا، ثم ملتقى (سيرسي) أين تحدد مصطلح الأدب الهامشي وتعينت حدوده.

وقد ارتبط أدب الهامش عند الغربيين بجملة من الأمور نجملها في:

. مشاكل الطبقة الاجتماعية البسيطة.

. التطور الصناعي الذي شهده القرن التاسع عشر الذي أنتج ذوقا جديدًا ومواضيع جديدة.

. اتهام الصحافة في الترويج لهذا الأدب من خلال نشر الروايات المسلسلة.

. استفادة مختلف الابداعات الموازية من الاكتشافات العلمية فلم يكن ممكنا الحديث عن الجريمة المنظمة في الرواية البوليسية التي يعتمد حلها على الطب دون أن يعرف العالم تحلي ADN ...

المذهب الرومانسي الذي فتح المجال لنشاط الآداب المهمشة والشعبية، وهو يخالف الآداب الكلاسيكية التي كانت تعد أدباً رسميا مركزيا[1].

وفي التاريخ الحديث يربط مجدي توفيق الهامش بظهور الحركات الدينية في منتصف السبعينات نتيجة إخفاق الأنظمة السياسية وإهمال المجتمع وقلة الخدمات الصحية والتعليمية والثقافية، والاجتماعية ، والحرمان، إضافة إلى ظاهرة العولمة ومابعد الحداثة التي

(1) سامية سعيد عمّار, دروس أدب الهامش، ص16.

عملت على مقاومة ظهور كيانات كبرى جديدة، وسعت إلى تفتيت الكيانات القائمة إلى قوميات وشعوب صغيرة، مما زاد من مساحات التهميش[1].

وخلاصة القول فإننا نستطيع أن نقرأ الهامش في نصوص كثير عبر التاريخ الانساني بوصفه وضعا انسانيا يمكن أن يعاينه الناس في كل أمة، ولكننا كلما تقدمنا في النصوص وتقدم بنا الزمن ووصلنا إلى تسعينات القرن العشرين ألفينا مفهوم الهامش قد أصبح شعارا أدبيا وثقافيا أو ما يشبه الشعار.

(1) نور الدين باكرية، الشعر المغاربي المعاصر من مركزية سلامة اللغة إلى تقويض قواعد اللغة عبر اللغة الشعبية، مجلة مداد الآداب، عدد خاص بالمؤتمرات، جامعة الجزائر، 2018-2019، ص197.

الفصل الأول

الهامش والنماذج الإنسانية في روايتي "الورم" و"عشب الليل:

- الشخصيات الرئيسية.
- الشخصيات الثانوية.
- شخصية المرأة المهمّشة في رواية الورم.
- شخصية المرأة المهمّشة في رواية عشب الليل.

الهامش والنماذج الإنسانية في روايتي " الورم " و "عشب الليل":

الشخصيات: تقوم عملية السرد على الشخصية، باعتبارها مكونًا فاعلا ضمن الحدث السردي، وتتعدد أنواع الشخصيات بحسب كل باحث وناقد بدءًا من "بروب وغريماس" وصولا إلى "فيليب هامون ولعل من بين أشهر التقسيمات ما يسمى بتقسيم الشخصيات الرئيسية، نظرا لدورها الفاعل في المعطى الروائي وشخصيات ثانوية مساعدة ومرافقة.

أولا/ الشخصية الرئيسية:

تمثل نماذج انسانية معقدة وليست نماذج بسيطة، وهذا التعقيد هو الذي يمنحها القدرة على اجتذاب القارئ وهي التي تستأثر باهتمام السارد حين يخصها دون غيرها من الشخصيات الأخرى بقدر من التميز، حيث يمنحها حضورا طاغيا، وتحظى بمكانة متفوقة هذا الإهتمام يجعلها في مركز اهتمام الشخصيات الأخرى[1].

وبالنظر في رواية "الورم" نجد أن هناك شخصية رئيسية واحدة ركز عليها الروائي وهي:

أ/شخصية "أساناي": وتعني"الكافر"[2]، شخصية مهمة وهومحور الرواية وحاكم الواحة، فقد كان في بداية الرواية مهمّشا مضطهدا لايلتفت إليه أحد، ثم تحول فجأة إلى حاكم مطاع، حيث "استيقظ أساناي بعد القيلولة فوجد أن الخلعة* الجلدية قد تلبست بدنه، تذكر أنه غفا جالسا على النطع مرتديا الجبة المهيبة" [3].

---

(1) محمد بوعزة، تحليل النص السردي، (تقنيات ومفاهيم)، الدار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر، ط1، 2010، ص56.

*الخلعة: في الدلالة اللغوية: ج خُلّع: الثوب الذي يعطى منحة. جبران مسعود، الرائد معجم لغوي عصري، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط7، مارس 1992، ص343.

(2) إبراهيم الكوني، روائي http// pdw.com/p/12rwc بتاريخ 18 أكتوبر 2011، 12:54.

(3) إبراهيم الكوني، الورم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، دار الفارس ، بيروت_لبنان، ط1، 2008، ص07.

تجري أحداث الرواية مكانيا في تلك الواحة القابعة في عمق الصحاري الجرداء حيث تتغير حياة "أساناي" من عبد تعيس في قومه منبوذ وحقير لا يقدر على شئ إلى مريد للسلطة مالك لها، إذ يأتيه الرسول ببشارة تجعل منه (صاحب الخُلعة) بأمر من زعيم الصحراء ليكون بعدها سيد واحته وملكًا على رقاب رعيته[1].

حاول" أساناي" أن يهرب من واقعه إلى الأحلام في المنام " قرر أن يغفوا فربما جاء الخلاص بالمنام كما جاء القصاص بالمنام"، ولكن أساناي لم يتحرر من وسوسة الخلعة التي ارتداها، وبدأ في طرح أسئلة كثيرة، " كأن الخلعة هي خلعة حقًّا كأن الخلعة مجرد ثوب ككل الأثواب التي يمكن أن تلبس في وقت الفرح وتخلع في وقت النّوح، كأن الخلعة هبة من الزعيم العظيم، كأن الخلعة ليست حقا أبديًّا مكتسبا، كأن الخلعة دمية من دمى الأطفال، وليست علامة مستعارة من سماء... كأنّ الخلعة لم تعد كما كانت دوما في ناموس القبائل صولجانا يبيح استعارة دور الزعيم نفسه وربّما الدور الذي يفوق دور الزعيم فالخطيئة المعنية هنا هي الخلعة لأن الإنسان حين ولادته يولد بدون لباس <<لأن اللباس في أصله علامة خطيئة لأننا ولدنا عرايا ليكون لنا جلدنا لباسًا، كما وُلدنا من بطون أمهاتنا أحرار>>[2].

إنها خطيئة السعي وراء ماديات هذا العالم المدنس لأن تلك الخلعة هي رمز للحياة، فسعى الإنسان إلى إرتداء "الخلعة " هو سعيه في واقع الأمر إلى ماديات الحياة إلى ترفها وسلطتها [3].

---

(1) فيصل أبو الطّفيل، رواية الورم لإبراهيم الكوني ونبوءة الربيع العربي، بحث نشر بكتاب أعمال مؤتمر الرواية العربية في الألفية الثالثة ومشكل القراءة في الوطن العربي، ص203.

(2) إبراهيم الكوني، الورم، ص79.

(3) عبد الصمد جلايلي، التناص الأسطوري في رواية "الورم" لإبراهيم الكوني، مجلة الأثر، العدد 30، جامعة مستغانم(الجزائر)، جوان، 2018، ص290.

بعد أن حصل "أساناي" على هبة الزعيم، واستقر حكم الواحة له، ورضخت له الرعية واستقرت له البلاد، ودُعي له على المنابر وفي الساحات بالبقاء الأبدي، جاء أمر الزعيم بالتنحِّي عن سدة الحكم وترك الواحة وتسليم الخلعة لرسوله المبعوث له، حتى إذا جاء الرسول لاستلام الخلعة ونزعها من على ظهر" أساناي" ، جدّ أمر مستحيل معه تسليم الخلعة، لقد تلبست الخلعة بجسم الأخير وأصبحت كجلدة، تمتد عروقه بأطرافها وتجري دماؤه في أجزائها، لقد أصبحت جزء منه ولن يتسنى لرسول الزعيم أخذها إلا بعد أن يسلخ جلده عن بدنه، وقد حاول مرارا وتكرارا خلعها لكن دون جدوى، ومع إصرار زعيم الرسول على نزع الخلعة مهما كلف الأمر، عنَّ للحاكم أمر لم يسبق إليه أحد ممن تحصل على هذه الخلعة في السابق، لقد قرر أن يحتفظ بالخلعة إلى الأبد وأن يرفض أوامر الزعيم بتسليمها[1].

إن رواية الورم رواية فلسفية تعرّي أصحاب النفوذ والسلطة وتفضح شهوة الإنسان إلى الطغيان، فينسى أنه مجرد إنسان وليس إلهًا على الأرض[2].

لقد عاش "أساناي" في صراع دائم، صراع بين الماضي والحاضر «عاش أساناي هذا الكابوس مرتين: مرة في الزمن الذي سبق نيل الخُلعة، ومرة أخرى بعد بلاغ الرسول القاضي بخلع الخُلعة!»[3].

وهكذا يفقد "أساناي" السلطة والقوة وسيطرته على الرعية. « ففي اللحظة التي سمع فيها من فم الرسول نبأ النعي"، لأنه تخيل نفسه طريدا، ضائعا، منقطعا، ومنبوذا »[4].

---

(1) إسماعيل فتاتيت، تقنيات العمل الروائي عند إبراهيم الكوني (دراسة في رواية الورم)، المجلة العلمية لكلية التربية، العدد الرابع، كلية التربية، جامعة مصراتة، ص153

(2) فيصل أبو الطّفيل، رواية الورم لإبراهيم الكوني ونبوءة الربيع العربي ، ص203.

(3) إبراهيم الكوني، الورم، ص83.

(4) المصدر نفسه، ص89.

فكر" أساناي" في الاحتجاب، فدبر عليه مستشاره وقال له:<< إذا أردت أن تتخذ لنفسك حجابا من جنس يُعوّل عليه فاستجر بأمك الأرض، ثم ابتسم ضيف الغرباء: قال بغموض:أستطيع ألفق لك الحجاب الذي ينطق جمالا من الحجر الأخرس. أستطيع أن ألفق لك الحجاب الذي لم تشهد الصحراء لجماله مثيلا، شريطة أن تضع بين يدي ما يتطلبه حجاب كهذا من مال >>[1] .كانت فكرة الحجاب من الداهية ضيف الغرباء بعد ما عجز"أساناي"عن إيجاد حل لنفسه :<< هذا العجز حوله حياته كلّها إلى كابوسٍ أشبه بالوفاة فأيقن أن نموت، ولكن الموت هو أن نفقد الأمل، الموت هو أن نعجز عن الحلم. الموت هو نجهل لماذا جئنا لا لماذا نذهب، فهل هذا هو مايسمّيه الناس فشلاً؟ . أم أن هذا الإحساس هو مرض يستوجب الاستشفاء؟ >>[2].

إن رواية الورم تعالج قضية الحكم والسلطة، وتهافت الكثيرين على اعتلاء سدّة الحكم وهم ليسوا أهلاً لها فتتحول السلطة في أيديهم إلى تسلط ، وتستحيل القوانين في أيديهم إلى أدوات قمع وظلم وتجبّر، فتكثر جرائمهم وينتشر جورهم ويعمّ ظلمهم[3].

ارتكب "أساناي" أخطاء شنيعة، حسب ما جاء في الرواية، أوّلها حبّه للخلعة، لأنها طريدة، ولأنها سلطان وجاه صيرته معبودا، بعد ما كان مهمّشا مضطهدًا لا يبالي به أحدا، كذلك اغتياله للساحر عندما استدعاه ليجد له حلاّ بشأن الخلعة التي التحمت بجلده، ولكن الساحر لم يخفي عليه الحقيقة، فأخبره بحقيقة وضعه على الرغم من أنه أعطاه الأمان، إلا أن "أساناي" بعث ورائه بقتلة لكتم أنفاسه، فهو يعترف أن<< اللجوء لكتم أنفاس الناس أو انتزاع ألسنتهم كتما للسر مجرد خطأ، ليس مجرد جرم فيحق الأعراف، ولكنه خطيئة، لأن ما وُجد ليُعرف، لا ليُخف>> [4].

---

(1) المصدر نفسه، ص150.

(2) المصدر نفسه، ص81.

(3) أمحمد رخرور، تجليات العجيب والغريب في روايات إبراهيم الكوني" أساطير الصحراء و" ميتولوجيا الطوارق" ، شهادة دكتوراه، تخصص الأدب العربي ونقده، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة(الجزائر)، 2017-2018، ص60.

(4) إبراهيم الكوني، الورم، ص91.

كذلك رهن كل ما يملك لإنجاز صفقاته مع التجار، إلا أن القافلة هلكت على أيدي قطاع الطرق، فاضطر إلى بيع زوجته في مزاد السوق، حاول "أساناي" أن يمحو عاره باستعادة زوجته ولكن الذي اشتراها رفض إعادتها وراقت له، غضب "آساناي" فدّبر حيلة له، حيث دفع مالاً للأحد القتلة فدس للرجل سمًا في الطعام فمات.

هناك سلطة أعلى غيبية تفوض جزءا من نواميسها إلى سلطة أسفل:الأولى سلطة الزعيم وهي هبة على سبيل الاسترداد والثانية سلطة "أساناي" الذي صار وجوده متوقفا على امتلاكها حتى امتزجت بجلده وصارت جزءا لا يتجزأ. وإذا كان ما يُستعار حقا لابد من إرجاعه لأصحابه، فإن طغيان "أساناي" وتجبره واعتداده بنفسه زيّن له الخروج عن النواميس وبسط اليد على ما كان تفويضا من الزعيم له، فكان أن جعل نفسه أحقَّ بامتلاك السلطة من غيره فقتل الرسول وأنكر وجود الزعيم ليكون جزاؤه من جنس عمله، سيعاقب جسده بالورم مثلما ستعاقب روحه بالانحطاط في دهاليز المذلة والإهانة[1].

وبهذا الفهم، وضع الأسلاف عقوبة صارمة تجاه من تُسوّل له نفسه اختراق وصايا الناموس:إنه ليس الطرد من الفردوس فقط، بل كذلك المعاقبة والقصاص[2].

ومن أخطائه أيضا استعمل الخلعة كوسيلة لتحقيق مصالحه ، بالرغم من تحذيرات الرسول، << فكان أول مافعله بوحي من العطية هو نسيان تحذير الرسول من استخدام الهبة لإرواء النّهم إلى الإنتقام، لأنه انسلّ من زحام الخلق في السوق وذهب من فوره إلى دار العدّو القديم ليستردّ من ورثته قرينته السليبة مستعينا لتحقيق ذلك بالزبانية الذين وضعهم امتلاكه للخُلعة تحت إمرته>> [3].

---

(1) مؤتمر فيصل أبو الطّفيل، رواية الورم لإبراهيم الكوني ونبوءة الربيع العربي، ص203.

(2) أمل رشيد، قداسة الناموس وسلطته في أدب إبراهيم الكوني(مقال)، مجلة جيل الدراسات الأدبية والفكرية، العام الثاني، العدد11، جامعة تلمسان، سبتمبر2015، ص121.

(3) إبراهيم الكوني، الورم، ص33.

كذلك يمثل "أساناي" في الرواية الضحية أيضًا، فهو في حد ذاته ضحية لأطماعه ولاستبداده، وإنكاره لحقيقة وجود الزعيم، وهو نكرانه للناموس، كذلك أحب هبة الزعيم لأنها في اعتقاده تمنحه دور الزعامة، إنه إنسان الرذيلة، فوقع ضحية رذيلة أخرى لها، على الرغم من أنه كان يرفض الإنتماء إلى فصيلة أكباش لفداء، إلا أن الواقعة وقفت به على الرغم من أنفه، لأن القدر أراد ذلك، وتحدد مصيره بالورم الخبيث[1].

عانى "أساناي" من الورم الخبيث الذي أصابه، وازدادت حالته النفسية سوءًا، وتحول من حاكم مستبد ومتسلط إلى حاكم ضعيف ومريض.

لفظ "أساناي" أنفاسه الأخيرة بين يدي اللئيم "وانتهيط" ، الذي تنكر له في هيئة ضيف الغرباء ومستشار له، << أنت "وانتهيط". أنت لن تكون إلاّ لئيم الأجيال"وانتهيط">>[2].

وقف الداهية فوق رأسه لحظات، ووضعه في جوف الحجاب، << ثم سحب عليه غطاء الناووس المنحوت من صلد مصقول وموسوم بطلاسم الأبجدية القديمة، ليتحول مع توالي الأيام معبدا مجسّدا في بنيان مهيب>> [3].

ومما سبق نخلص إلى أنّ الخلعة الجلدية الملتصقة بجلد الحاكم "أساناي"، ترمز لكرسي الحكم الذي يتشبث به الحاكم الطاغي الفاسد، الذي استولى على السلطة بطريقة غير ديمقراطية، ورغما عن إرادة الشعب، فما إن يُنصب حاكما، حتى يتنكر للوعود التي قطعها على نفسه، ويتمرد على المبادئ التي كان يتشدق بها [4].

---

(1) عبد الصمد جلايلي، التناص الأسطوري في رواية "الورم" لإبراهيم الكوني، ص291.

(2) إبراهيم الكوني، الورم، ص183 .

(3) المصدر نفسه ، ص184.

(4) أمحمد رخرور، تجليات العجيب والغريب في روايات إبراهيم الكوني" أساطير الصحراء و" ميتولوجيا الطوارق"، ص243.

أما بالنسبة إلى **الشخصيات الرئيسية** في رواية "**عشب الليل**" نجد الشخصيات الأربع "سليل الظلمات والحكيم والابنة وابنتها(الحفيدة)، مجهولة الاسم.

1 /شخصية"سليل الظلمات":هي شخصية الشيخ "وان تيهاي" وصفه الروائي ب"صاحب الظلمات" أو "سليل الظلمات" وأنّه يعيش في المكان المسمى"واد الجنّ" أو "واد الظلمات"، يذكر أنه كان يحب النساء، إذْ اقترن بعدّة منهنّ ولكنه لم يفلح أبدًا في معاشرتهن، فاعتزل الناس ونصب في هذا الوادي الأسطوري خباءٌ من وبر الجمال، فلزمه ولم يبرحّه، إلا حين يحل الظلام ويشتد سواده ولا يتحدث إلى أحد«تجنّب أهل القبيلة، وتوقف عن زيارة العقلاء، وصار لا يخرج للتسكع في "واد الجنّ" إلا في الليالي التي تتغيّب فيها الأقمار»[1]

اكتشف " سليل الظلمات" عشبة سرية بين الأحجار، يقال عنه أنها أعادت له رجولته، وفي هذه الرواية يحكى عن "وان تيهاي" أنه تزوج بأمَة، تدعى"بنت الأدغال"، ولامه على هذا الزواج أهلهُ وعرّاف القبيلة، لأنه رفض عن الزواج من الطبقة النبيلة، ورغب في زواجه بالأمة، لتنجب له أنثى. ماتت الأم بعدها، وكبرت الفتاة وصارت تتراود على بيت "الجد" ليقنعها بأنه لا أحد يستحق حبّها غير الأب، لترضخ الفتاة في بادئ الأمر فمارس عليها الجدّ طقوسه الجنسية، إلى أن سئمت الفتاة واستنكرت هذا الفعل الشنيع وأرادت فضحه وكشف سرّ خلوده وقدرته أمام الناس، هاربة من المنزل.

"سليل الظلمات" إنه الرجل الذي أراد أن ينال الخلود عن طريق خرق الناموس. الناموس الصحراوي السائد الذي يعود في أصوله في كتابات روائية أخرى "للكوني" إلى الكتاب المقدس المفقود، كتاب الأسلاف الذي يحمل اسم "أنهي"، إنه لا يريد خرق الناموس المتواضع عليه بين النّاس عن طريق عشقه الجنوني للسّواد والظلام والعتمة فحسب بل عن طريق الاقتران السفاحي من ابنته ومن ثم حفيدته**!**[2].

---

[1] إبراهيم الكوني، عشب الليل، دار الملتقى للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط2، سنة 1997، ص29.

[2] إبراهيم الكوني، رواية عشب الليل، جماليات السواد ومغازي اختراق الناموس،(مقال صحفي)، 15أكتوبر205.

تدور أحداث الرواية في الصحراء بكل ما تنطوي عليه من أوصاف المكان ورموز تخرج الفضاء من بعده الواقعي إلى آخر أسطوري مطلق وغير محدد. انطلقت مجريات الرواية من معبد " تينهينان" ليستمد قداسته، إذ فيه تقدس الإلهة " تينهينان" حمايتها على سكان الصحراء فهو ملاذ البطلة، يعج فضاء المعبد برموز تقديسية جعلت منه ملاذ الواويين بما يحتوي من مذبح لتقديم القرابين، وفيه يحرق البخور وتعقد النذور إذ تقوم العرّافة على خدمة الزائرين[1].

استسلم "وان تيهاي" للسّواد لأنه مولعٌ به، وابتعد عن النّور والضياء، لأن الظّلام جعل منه الرجل القوي الشجاع الذي يمارس فيه طقوسه الجنسية، ويمارس كل رغباته التي لا يستطيع فعلها في وضح النّهار<<عرفت فيه القبيلة مريدًا للظلمات وشاعرًا يتغنى بالسّواد>> [2].

يذكر "الكوني" في رواية "عشب الليل" مدى كره الإنسان الصحراوي للون الأسود، كونه يحتفظ بدلالات سلبية ثابتة تتمثل في النفور، والخطيئة والسقوط والشؤم والكآبة، فقد عقب الهواة على آراء "وان تيهاي"، كل ما ردّده خصوم الرجل عن عشقه المعيب لهذا اللون الكريه[3] ، << (إلى حد أنّه لا يرلاتدي إلا ثيابا سوداء، ولا يخرج للتسّكع إلا ليلا، ولا يعاشر من النساء إلا إيماءه الزّنجيات)، يمكن أن يُحشر ضمن حسد الإنسان لأخيه الإنسان>> [4].

فالشخصية البطل "وان تيهاي" حاول قلب القيم وإشاعة قانون آخر لا أخلاقي وهو

---

(1) نوال مدوري، تشكل الفضاء والزمن الأسطوري في رواية "عشب الليل" لإبراهيم الكوني، مجلة كلية الآداب واللغات،العدد21، جامعة تبسة(الجزائر)، 2017، ص153.

(2) إبراهيم الكوني، عشب الليل، ص17.

(3) حليمة دحماني، المقدّس وتجلياته في كتابات إبراهيم الكوني، شهادة دكتوراه، جامعة سيدي بلعباس، 2018/2017، ص122.

(4) إبراهيم الكوني، عشب الليل، ص18-19.

قانون التمتع بالضعيف: الزوجة، الابنة والحفيدة[1].

أما عن الحوار الذي جمع (الإبنة وأبيها)، حيث قررت الفتاة وضع حد لهذا الوضع قدّم "الجدّ" سؤالا:

-ماذا تعرفين، يا شقيّة، عن الحبّ؟ ماذا تعرفين عن القتل؟ هيّا، خبّريني الآن!.

-أعرف، أعرف الشئ الكثير[2].

إنّ الجدّ لم يأخذ بكلام الفتاة على محمل الجِد، فقد اعتبر الموضوع منتهيا بالنسبة له، وأنه لا مجال للنقاش فيه أو تغييره، بغرض زعزعة إصرار الفتاة

تتحول الحفيدة في لحظات إلى وحش خرافي لا يمكن مقاومته لتتصارع جسدا بجسد مع "وان تيهاي"، (احتواها) بين ذراعيه كان مازال يغمغم بأقوال ليست أشعارا وليست تمائم، وليست جوابا عن سؤال قالت:

هل ظننت يا مولاي. أن ثمة ما يمكن أن يخفي في هذه الصحراء؟

أطلق صوتا كحشرجة شاة تذبح. تحسست المقبض. أمسكت بالمقبض، فقالت:

هل ظننت أن نزع ألسنة العبيد يمكن أن يفيد في إخفاء السرّ؟

تسللت بالمِدية إلى الجسد إلى الجرم المحموم الذي يعلو ويهبط ويئن. رشقت المقبض أسفل سرّتها فغاص النصل في اندفاعة الجسد العلوي إلى أسفل[3].

امتزج الدم بالدم، وتلاحم الجرم بالجرم بسلطان النصلين الشرهين. فاض المزيج الغامض إلى أسفل كعادة كل سائل غمر مفارش الحرم الجلدية [4].

كانت نهاية "وان تيهاي" على يد حفيدته، نهاية مؤذية ولم يفلح في أن يكون إنسانًا

---

(1) حليمة دحماني، المقدّس وتجلياته في كتابات إبراهيم الكوني، ص123.

(2) إبراهيم الكوني، عشب الليل، ص173.

(3) المصدر نفسه، ص183.

(4) المصدر نفسه، ص184.

خالدًا لأنّ خلوده على حساب القانون الأخلاقي، فهو يرى في حبّه للظلام وتمتعه بالسيادة والسّلطة والعنف.

إن" سليل الظلمات" ينال الخلود بخرق نواميس الصحراء لأنه قدّس السّواد وأنجب من صلبه، وفي العرف الطارقي كل من يدنس المقدّس تلحقه اللعنة وفي النهاية يكون الموت الحتمي هي المقدَّر عليه[1].

تمثل رواية "عشب الليل" الصراع بين عالم الأخلاق المثالي المقدّس الطّاهر وعالم الجسد، الدنيوي والمادي المدنّس، المحب للشهوانية، وعشقه للظلام والسواد. فاللّون الأسود هو المقدّس لأنه يحيل إلى السّيادة والسّلطة والجرأة والدّهاء[2].

2 /الحفيدة: مثلت دور البطلة في الرواية، وهي حفيدة "وان تيهاي"، وصفها الروائي بأنها << كانت ماردة في الطول، مسبوكة الأطراف، مشدودة القدّ، صدرها متوّج بنهدين مستنفرين، في بشرتها المعتمة نعومة وجاذبية ولذّة لم يعرفها القوم في أبدان الخلاسيات>>[3]. كانت الحفيدة ضحية لجدّها "سليل الظلام"، حيث كان يمارس عليها الطقوس الجنسية، واقتراف الخطيئة معها.

استهل الكوني روايته"عشب الليل" عن الإبنة التي هربت من بيت جدها << في فرارها الأول ذهبت للإحتماء ببنيان الجرم. باتت ليلتها الأولى في دار القرابين، وأطعمتها العرّافة من مآكل النذور التي يجود بها الواويّون على الضريح بسخاء يفوق إنفاقهم على أنفسهم وعلى ذويهم>> [4].

استطاع "ابرهيم الكوني" أن ينقل مجريات الأحداث وتفعيلها وسط أركان معبد "تينهينان" ففي ظل جرم الضريح المقدس ينقل لنا الكوني حوارًا مدنسًا بين الحفيدة والعرّافة

---

(1) حليمة دحماني، المقدّس وتجلياته في كتابات إبراهيم الكوني، ص123.

(2) المرجع نفسه، ص124.

(3) إبراهيم الكوني، عشب الليل، ص12.

(4) المصدر نفسه، ص07.

يدحض من خلاله قداسة المكان وخلق ضعف المعبد أمام الوضع القائم على منطق الاستبداد والتكتم[1]. طافت ببصرها بعيدا، بعيدا، تساءلت بلفظ مهموس:

-هل عاد إليك ثانية؟

جاء جواب الفتاة حاسما:

لو لم يعد إلي لما عدت إليك!

تنزل الصمت، ازداد البعد بعدا في بصر الكاهنة، وتعلقت الصبية بالبعد في مقلتي عذراء الأبد [2].

لم تستسلم الفتاة وأصرت أن تفترق عن جدّها والابتعاد عنه وهددته بكشف السرّ وإخبار النّاس بحقيقته. فقالت له: قررت أن نفترق. قاطعها بعبارة قاطعة:

-مستحيل!

-لن تراني بعد اليوم. سوف نرى!

-إذا أجبرتني فسوف أفشي سرّك. سأخبر النّاس بكل شئ! [3].

تعود الحفيدة إلى خبائه مكسورة، مهزومة، مجللة بالعار، لكنها اتخذت قرارها النهائي بقتله فتستعمل المدية التي كانت تعود أصلا للحكيم "بوبو" والذي قُتل بها على يد سليل الظلمات، إذ تحتوي على نصلين أحدها سرب في داخلها ينطلق إلى الجهة المعاكسة بمجرد أن يطعن جسمًا آخر(بمعنى أن الحفيدة طعنت نفسها حين دفعت بالنصل القاتل إلى بطن الجدّ إبان المسافحة) [4].

---

(1) نوال مدوري، تشكل الفضاء والزمن الأسطوري في رواية "عشب الليل" لإبراهيم الكوني، ص155.

(2) إبراهيم الكوني، عشب الليل، ص10.

(3) المصدر نفسه، ص180.

(4) حليمة دحماني، المقدّس وتجلياته في كتابات إبراهيم الكوني، ص81.

3/ الحكيم: مثّل شخصية "بوبو"، وصفه الروائي بأنه << كان نحيفا، قاتم البشرة متشقق اليدين والقدمين، تتقاطع على ساعديه العاريين، المستورين بطبقة خشنة، عروق نافرة تتكاثر عند المعصمين كشبكة كثيفة من سيور جلد كثيب اللون. في عينيه مرح أصيل، وفي بُنيته حيوية لا تتناسب مع قدمته في الزمان>>[1].

نال"الحكيم بوبو" الخلود عبر ذات الطريق الخارق للناموس، إنه صورة مصغرة لمولاه، فهو اتخذ دور المساعد على التمرد العدمي على الناموس يبقى الأستاذ والمعلم لمولاه سليل الظلمات [2].

مثّل "بوبو" ماضي "وان تيهاي" وماضي والده، تربطه علاقة بينه وبين "وان تيهاي" ففي عتمته يختبئ في رحلته الممنوعة باتجاه الوطن المفقود ليكون غطاءه ورفيقه عبر الصحراء. فكان لكل واحد من هما سرّا لا يعلم به أحد، " تكلم الحكيم بصوت غريب:

-أنا أيضا جئت من صلب ابنة اقترنت بالأب فكان لي الأب جدّا وأباً أيضا. هذا هو سرّ خلودي!

-هاأنا أذيع سرًّا جاهدت في إخفائه أجيالاً كذبت كثيرا عندما سألني النّاس عن سرّي. قلت دائما إن سرّي في أني لا أملك سرًّا[3].

أراد الجدّ إستمالة "الحكيم وضمه إلى صفه في إختيار مسلكه في الظلمات:

-ألا ترى في إرتداء اللّثام فرارًا من ضوء الزور؟

-لا أرى يا مولاي إلا ما ترى[4].

كان الجدّ مقتنعا بمسار حبّه وتعلقه بالظلمات كونها الحياة الحق والمخلصة له من

---

(1) إبراهيم الكوني، عشب الليل، ص44-45.

(2) حليمة دحماني، المقدّس وتجلياته في كتابات إبراهيم الكوني، ص81.

(3) إبراهيم الكوني، عشب الليل، ص140.

(4) المصدر نفسه، ص63.

ضوء النهار وما يحمله من مكائد، وموافقة "حكيم الأدغال" له في موقفه:

-ولكن يجب أن أعترف أيضا أني لن أستطيع أن أفعل شيئا إذا لم أفز بمساندة الحكيم.

-من يُسّميه مولاي حكيما هو عبد بين يدي مولاي كما كان عبدًا ذليلاً بين أيدي أسلاف مولاي.

-لا يكون الحكيم عبدًا لمخلوق أبدًا، فهل ستقول للبُنية أن الأب هو الربّ، والأقربون أولى بالمعروف؟

-ومن يستحق أن يُحب، يا مولاي، غير الأب؟[1].

كانت نهاية "الحكيم بوبو" على يد سليل الظلمات، خوفا من أن يكشف سرّه، قتل "وان تيهاي" الحكيم بالمدية التي ورثها عن أسلافه، واتخذ قبره سريرًا وعرشًا.

كانت نهايته هو الموت، فالموت هنا هو المحتم لكي يثبت الإنسان وجوده، فهو ملزم بالقضاء على شبيهه مقابل الدفاع عن مركزيته، والعداء هو سبب هلاك الشعوب تلك التي أكل قلوبها الحسد [2].

4/ العرّافة: هي شخصية الجدّة التي ربّت الحفيدة، مثلت دور المساعد والمحرك في أحداث الرواية، بغرض النصح والوعظ والإرشاد للفتاة، وفي حوار بين الجدة والابنة تخبرها بأنها تستطيع أن تحب أباها وتعبده بوسعك أن تعبدي الأب كما أراد لك الحكيم، ولكن لا تنسي أن يوم الفراق أقرب لنا من حبل الوريد"، لكن الفتاة هددت العرافة بكشف سرّ جدّها، بلسان وقح:

-إذا حاولت أن تعيديني فسوف أطوف وأقول للنّاس كل شئ!

تراجعت الكاهنة، انتصبت بالجوار. قالت بتسامح الكهنة:

ليس فخرًا أن تتباهى امرأة بقول مالا يحب أن يُقال!

---

(1) المصدر نفسه ، ص86.

(2) حليمة دحماني، رمزية الصحراء في روايات إبراهيم الكوني(نزيف الحجر و التبر وعشب الليل) نماذجا، مجلة الإنسان والمجال، العدد05، البيّض(الجزائر)، أفريل2017، ص264.

كانت الفتاة تتباهى بحسنها وجمالها كونها تحمل من الأنوثة ما يجعلها أهلا لذلك في حوار مع جدّتها <<أنا امرأة. أنا لست امرأة. أنا أكثر من امرأة أنا حسناء !>>[1].

واستمرت الفتاة في إصرارها على فضح الجد وكشف سره، والجرم الذي إقترفه:

- نعم. لم يستح، لم يستح ولم يعجز رغم الزمان الذي وهبّه لقب الجدّ.
- لم يستح فأتى مع الحفيدة مُنكرًا، ولم يعجز لأنه لا يكف عن أكل تلك العشبة اللعينة التي لا يعرف سرّها سواه [2].

أخبرتها العرافة بأنه بوسعها أن تحب أباها وتعيده لتستدرك حديثها وتقول<< لكن لا تنسي أن يوم الفراق أقرب لنا من حبل الوريد>> [3].

العرافة شخصية فاعلة في الرواية، فهي العرافة والكاهنة التي كانت تحمل النبؤة من الضريح إلى البشر.

ثانيا/الشخصيات الثانوية:

هي شخصيات أقل تعقيدًا وعمقًا من الشخصيات الرئيسية، وقد تقوم بدور تكميلي أو مساعد للبطل أو معيق له، وغالبا ما تقدم جانبا واحدا من جوانب التجربة الإنسانية [4].

ومن الشخصيات الثانوية في رواية الورم نجد:

1/الرسول: مثلت هذه الشخصية دور المساعد والمحرك في الرواية، وكانت مهمته تبليغ رسالة الزعيم، << أردت أن أقول أن رسالة الرسول البلاغ!، البلاغ ؟ أجل بلاغ الزعيم هو الذي قضى بخلع الخِلْعة عنك اليوم، كما قضى بخلع الخلعة عليك يومًا !>> [5].

---

(1) إبراهيم الكوني، عشب الليل، ص113-114.

(2) المصدر نفسه ، ص13.

(3) المصدر نفسه ، ص96.

(4) محمد بوعزة، تحليل النص السردي، ص57.

(5) إبراهيم الكوني، الورم، ص44.

قام الرسول بثلاث زيارات إلى حاكم الواحة لكل زيارة نمطها الخاص، ففي الزيارة الأول يتقمص شخصية الواهب المتفضل الذي يمنح الأمل والفرحة لأحد التعساء، وفي الزيارة الثانية يتقمص شخصية المرعب المهدد، المتوعد بانتزاع الفرحة وسلب السرور، وفي الزيارة الثالثة يتعرض للسجن والإعدام، فتتحول هذه الشخصية من شخصية تطاول عنان السماء إلى أخرى بائسة حزينة تتلمس سفح الأرض[1].

وجد الرسول نفسه في قبو تحت الأرض تدُب في أرجائه مخلوقات مشئومة في عرف الصحراء هي الأرانب، كانت تجوس في ظلمات المكان الليل كلّه، تدق الأرض بأرجلها، وتطلق أصواتًا مكتومة، ولكنها كئيبة كأنها نبوءات سوء [2].

استطاع الكوني أن يفلسف وجهة نظره حول الكثير من القضايا المتعلقة بالصحراء وطبيعة أهلها، أهمها في هذه الرواية البعد السياسي ومعالجته بأسلوب رمزي أسطوري من يختلط فيه الواقع **بالمتخيّل** [3]، كما في هذا الحوار الدائر بين رسول الزعيم، والحاكم آساناي، قال الرسول:

–بفضلك أنت سأتحرر من خوف الموت، ولكنك لن تحرر من الموت بفضلي أنا. هذا يؤسفني !

استفهم الجلاد بإيماءة فأوضح الأسير:

الضّحية تموت مرّة بفضل الجلّاد، لأن ميتة المرَّة هي التي تحرّر من الموت ألف مرّة، أمَّا الجلاد فيموت كل يوم مرارا، لأنّ الخوف من الموت هو الموت !

_الخوف من الموت؟

أنت لن تطمع بعد اليوم أن تحيا بين أناس يخافونك، دون أن تخافهم! [4].

---

(1) إسماعيل فتاتيت، تقنيات العمل الروائي عند إبراهيم الكوني (دراسة في رواية الورم)، ص157.

(2) إبراهيم الكوني، الورم، ص131.

(3) إسماعيل فتاتيت، تقنيات العمل الروائي عند إبراهيم الكوني (دراسة في رواية الورم)، ص163.

(4) إبراهيم الكوني، الورم، ص136.

كانت نهاية الرسول هي هذه الحالة المأساوية التي آل إليها لأنه أخبر عن الحقيقة، «وكل من احترف الحقيقة فهو ضحية شاء أو أبَى !»[1]. فهو يدرك أن مصيره هو قدره، ويرى أن هذا المصير أهون عنده من حياة يخون فيها رسالته، بالرغم من أنه تعلم أن الرسالة هي الحياة وعدم وجود بديل لهذه الحياة .

2/الزعيم: هي شخصية تم اختيارها ليكون العضو السادس في المجلس، ووصف «بأنه ممتطيا دابة مريبة لم تشهد الواحة لها مثيلا. استوقف الغريب بهيمته الغريبة عند مدخل الواحة، ثمّ عبر باب (قدموس) ليدخل الساحة من جهة الغرب ملفوفا بالسواد من قناع رأسه حتّى أخمص النعلين »[2] . شخصية الزعيم ، شخصية غامضة وغريبة الأطوار في أحداث الرواية مما أدى إلى حدوث جدال بين أعضاء المجلس «لا يقتصر هذا الجدال على سيرة الزعيم وخلوده المزعوم وحسب. ولكن في غموضه، وغرابة أطواره، وطبيعة اسم: الخلعة! [3].

وفي أحداث الرواية، تبيَّن نزاع حاد بين الحزبين الخالدين، كلاّ منهما له رأي معارض. "حزب أصحاب اليقين" وحزب " أصحاب النكران"، فالحزب الأول أكد وجود الزعيم، بالرغم من احتجاب الزعيم عن الأنظار ، بينما فريق النكران شكك في هوية الزعيم، ولم يكتفي بالإنكار «أكد فيه أن الزعيم لو يكن سوى خرافة من تلك الخرافات التي تصلح لتسلية الصغار في ليالي الشتاء الطويلة»[4].

قاد الجدال الطويل بين الفريقين للوصول إلى حقيقة الزعيم، حيث احتكم فريق اليقين إلى حجج وبراهين للدفاع عن الزعيم، ولكن هذه الحجج أخفقت في إقناع الخصم، في حين يؤكد فريق النكران أن الزعيم ينتمي إلى سلالة أهل الخفاء (الجن)، « لأن الزعيم

---

(1) المصدر نفسه، ص132.

(2) المصدر نفسه، ص117.

(3) المصدر نفسه، ص67.

(4) المصدر نفسه، ص71.

فلم يحدث أن وقعت عليه عين إنس منذ تخلّى لا ليعتزل فحسب، ولكن ليتوارى عن الأنظار أيضا>>[1].

3/ القرينان: هو اسم مثّل شخصيتان في الرواية "**إيدبان**" و"**أساروف**" :

3_1: شخصية "إيدبان" وهو إسم جبل مسكون بالجن في أساطير الطوارق في قلب الصحراء[2]، ويلقبونه ب"المهاجر" وهذا << اللقب لا صلة حقيقية له بالهجرة، ولكنه حميم الصلة بالعزلة. وقد تردّد على ألسنة الدهماء أو ما تردد لجهل هذه الفئة بالفرق بين التنقل في الصحاري طلبا للرزق وبين اللجوء إلى الصحاري للانقطاع عن الخلق >>[3].

وصف " إيدبان " في الرواية بأنه << رجلٌ نحيلٌ، مقنعٌ، طويلٌ، نحاسيّ البشرة، مثله مثل جليس الأقرع>>[4].

عند خروج " إيدبان" إلى أساور الواحة وذهابه إلى جبال "هانكاكا" يتهمه النّاس بالبلاهة وبالرغم من السخرية والإهانة التي تعرض لها إيدبان ومطاردتهم له، إلا أنّه كان يكتفي برسم << بسمة غامضة على شفتيه ربّما تعبيرًا عن استهانة وربّما علامة إشفاق >> [5].

كان" إيدبان" يعيش حياة طفل يتيم الأهل والأقارب، << ولكنه لايتخلى عن صلاة الخروج المبّكر إلى الخلاء أبدًا ليعود من تلك الجولة ليشاهد الشروق الجليل مستندًا إلى الجدار المشرف على ساحة سوق الأنعام وحيدًا >>[6]، كان كل من"إيدبان"و"أساروف"رفيقين تجمعهما علاقة قوية منذ الطفولة، ولقبا بالقرينان لأنهما <<

---

(1) إبراهيم الكوني، الورم، ص69.

(2) إبراهيم الكوني، روائي http// pdw.com/p/12rwc بتاريخ 18 أكتوبر 2011، 12:54

(3) إبراهيم الكوني، الورم، ص53.

(4) المصدر نفسه، ص52.

(5) المصدر نفسه، ص54.

(6) المصدر نفسه، ص54.

كانا يلتقيان كل يوم في الفجر فيذهبا في جولة في العراء ما أن تفتح الواحة بوابتها >>[1].

2_3: شخصية " أساروف " ويعني اسمه "الغفران"[2]، كان أهل الواحة يخاطبونه باسم أساروف ويلقبونه ب "الكاهن"، حيث وصف في الرواية بأنه<< رجل قصير القامة، حاسر الرأس لا من القناع وحسب ولكن من الشعر أيضا>>[3].

4 / الساحر: مثّلت هذه الشخصية دورًا هامًا في أحداث الرواية، وصف بأنه << طويل القامة، صارم السيماء، نحيل البُنية، نحاسيّ البشرة، خاوي المقلتين"[4]، عرف بقدرته على التنبؤ، حيث أخبر الحاكم "أساناي" بأن الخلعة ستلتصق بجلده "لأن من أحب شيئا أكثر مما ينبغي صار جزءا من ذلك الشئ شاء أم أبى>> [5] .

حاول "الساحر" خلع الجبة عن الحاكم" آساناي" ففشل في ذلك، فقام الحاكم بالتخلص منه حتى لا يفشي بسرّه، " أمر الزبانية بملاحقته وكتم أنفاسه قبل أن يفلح في استخدام شئ في تلك العضلة القبيحة التي لا يحسن الناس استخدام شئ في دنيا"[6].

أما بالنسبة للشخصيات الثانوية في رواية "عشب الليل" فهي شخصيات وظيفتها محدودة وثانوية انحصرت في خدمة الشخصيات الرئيسية في الرواية التي لا تستطيع أن تنسلخ عن تصرفات تلك الشخصيات الهامشية، فهي متممة لأجزاء من المشهد السردي، وعلى الرغم من ثانوية هذه الشخصيات إلا أن قضايا الرواية الأساسية لا تقوم وتتشكل إلا من خلال أفعال هذه الشخصيات الهامشية [7].

---

(1) إبراهيم الكوني، الورم ، ص52.

(2) إبراهيم الكوني، روائي http// pdw.com/p/12rwc بتاريخ 18 أكتوبر2011،12:54

(3) إبراهيم الكوني، الورم، ص52.

(4) المصدر نفسه ، ص10.

(5) المصدر نفسه، ص14.

(6) المصدر نفسه، ص23.

(7) ينظر، أحمد عوين، دراسات في السرد الحديث والمعاصر، الوفاء، ط1، 2009، ص93.

ثالثا/شخصية المرأة المهمّشة في رواية " الورم":

إن المرأة الصحراوية لها جاهًا وسلطة وقداسة، مستعارة من كتاب "آنهي" المقدس لدى الصحراويين، ومن تراث مقولات الأسلاف، فلذلك قدّسها الرجل الصحراوي ورفعها إلى مستوى الآلهة يركع لها ويعبّدها وعدّها مخلوقًا مقدسًا[1].

لكن الكوني عمد إلى تقديم المرأة الصحراوية بمظاهر الغموض، كالغموض الذي يخلق الصحراء، والذي يجعل تفسير كثير من أمور البدو الصامتين أمرًا عصيًّا [2].

تبدو لنا علاقة "إبراهيم الكوني" بالمرأة غامضة مبهمة تتشابك فيها المشاعر وتتداخل بتعقيد محيّر وتخرج من أعماق متاهة مظلمة وهي صورة مغلفة بدهاء ومهارة بمشاعر كراهية تتدفق بها لوحات الكاتب ويوحي بها لقرائه كي يخفي ذلك الحنين الشديد للمرأة وذلك التوق إلى حضورها وتواجدها، ففي هذه العلاقة المعقدة تختلط الأضداد وتتمازج وتتماهى، فلا تعود تستطيع أن تتلمس تلك الخيوط الدقيقة الفاصلة بين الأشياء ونقائضها، بين الحب والكراهية وبين العدوانية الفاجعة التي تروع القراء بشدتها وقسوتها والتي يندس بين جنباتها ذلك العشق الشديد والحاجة الماسة لوجود المرأة.

عندما تدخل إلى عالم الكوني يروعك جفاف وغياب المرأة عن مسرح أحداثه ذلك العالم الذي تتداخل فيه الأسطورة مع الحقيقة، وتشكل الصحراء بعزلتها وعظمتها وغموضها وإشاراتها أحد معالمه الرئسية، كما تتحرك فيه رموز أخرى كالصوفية والنبوءة والعزلة والرؤيا والحيوان فتعقد من أزمة وجود الإنسان الذاتية، فلا تملك إلا أن تشعر

---

(1) أمحمد رخرور، تجليات العجيب والغريب في روايات إبراهيم الكوني" أساطير الصحراء و" ميتولوجيا الطوارق"، ص122.

(2) المرجع نفسه، ص128.

بعمق هذه الأزمة وباستعصائها على الحل، لتكتشف أن الإنسان مأسور في ذاته رهين لنصب يصاحبه منذ انزلاقه من رحم الأم إلى أن يطويه رحم الأرض[1].

يصور لنا " الكوني" المرأة في رواية " الورم" على أنها غالبا شخصية مهمّشة ومذلولة في المجتمع وأنها ترمز للشّهوة والغواية، قبل أن يستلم الحاكم "آساناي" السلطة والزعامة كان إنسانا مهمّشا منبوذا من طرف المجتمع، استغل سلطته في اقتراف الخطيئة مع النساء " قلت لك أني لا أذكر إثما، اقترفه في حق السماء اللّهم إلا إذا كان إسعاد نساء الواحة المخدع إنما جديرا بقصاص كريه كهذا. ولكن الساحر لم يستجب للدعاية، قال باستكباره المعهود:

-دعك من معانقة النساء وحدثني عن الحبّ!

-أفلتت من فم "آساناي" ضحكة صاح:

-أليس معانقة النساء حُب في عُرف السّحرة؟

-أجاب الساحر ببرود:

-كلاّ! معانقة النساء في عرف السحرة ليس حُبّا!

-تطلع إليه آساناي بدهشة، ثم استدرك:

-آه، لقد تذكرت أنكم تسمّون هذا العمل شهوة![2].

نجد "آساناي" صاحب السلطة والحكم، يستخدم سلطته وقوته في خداع النساء واستباحتهن حتى وهنّ متزوجات، هذا ماجرى في حوار بين "آساناي" و" الرسول":

-ماذا تقول بشأن استباحة النساء؟

-هل تريد أن تقول أن النساء لم يتمتعن إلا من باب الرغبة؟

---

(1) أمل زاهد، الكوني والمرأة عدوانية وكره أم عشق وتوق، مجلة الحوار المتمدن، العدد1671، 2006/09/12، 10:14.

(2) إبراهيم الكوني الورم، ص13.

-بل لم يحدث أن يتمتعن أيضا، تلك فضيلة السلطان يا مولاي!

-يقال أنّك أنجبت ولدًا من قرينة وهي في عصمة قرينها!كان ذلك برضاها وبموافقة قرينها أيضا يا مولانا.

-أيعقل هذا؟

-هذا يعقل يا مولاي في حال واحدة: عندما يمتلك الإنسان صولجان السلطان[1].

ومما سبق نستنتج أن السلطة المطلقة التي لا يمكن امتلاكها إلا بارتكاب الأثام ولا يبرع في الاحتفاظ بها إلا الأراذل من النّاس. يقول "إبراهيم الكوني" :<< أن السلطان كان دوما قَدَر الأراذل لأنهم الأمّة الوحيدة التي لا تتورّع عن اقتراف أعظم الآثام>>[2].

رابعا/شخصية المرأة المهمشة في رواية "عشب الليل":

إن المرأة في رواية "عشب الليل" هي الأم الأصل فهي الربة "تانيت" حسب معتقدات الطوارق وهي الزوجة وهي البنت وهي الكاهنة والعرافة، وسيدة القوم أيضا. إلا أنه تم قمع هذا العنصر الأنثوي في هذه الرواية، إذ تمثل لنا الصراع بين النظام الأمومي والنظام الأبوي.

إن رواية "عشب الليل" تقدم لنا صورة المرأة الدونية، فقد ظلت المرأة بالنسبة لكاتبنا مصدر الشر والكائن الغادر الذي يجب قمعه، وقد تعود هذه الصورة إلى التصور التاريخي لمراحل الحضارة البشرية التي تحولت من مرحلة سيادة الأم، الحقبة الأمومية إلى المرحلة البطريركية، انطلاقا من الانقلاب التاريخي للحضارة الإنسانية الذي تحولت إثره الأنثى من موقع الآلهة إلى موقع العبد وافتك الرجل الأب مكانها [3].

---

(1) إبراهيم الكوني الورم، ص41.

(2) المصدر نفسه، ص31.

(3) حليمة دحماني، المقدّس وتجلياته في كتابات إبراهيم الكوني، ص154.

فالمرأة في نظر الروائي "إبراهيم الكوني" هي الحيّة، فتشترك كلاهما في احتوائهما الدلالات المتناقضة، فكلاهما يعتبرهما مصدر شقاء وسعادة وأداة نماء ووسيلة فناء ورمز للشر إذ يقول:<< علينا أن نتجنب الحبّ كما نتجنّب الحيّات، لأنه لابد لمن نحبّ من أن يصير لنا عدوّا أخطر من سموم الحيّات؟ >>[1].

وقوله أيضا:<< جلست بجواره على الحرم، تفحّصها بعين الحيّة التي تتبين فرائسها في أشد الظلمات كثافة>>[2].

فالمرأة في رواية "عشب الليل" بالنسبة للبطل "وان تيهاي" هي مصدر غواية وشهوة لابد من بلوغها مهما كان الثمن، خاصة مع تناوله لعشبة الليل السحرية قائلا:<< ولكن هل تناصر مسلكي مع النساء أيضا؟ أعني هل تشاركني رأيي الذي يقول إن أجسادهن لم تخلق إلا لإمتاعنا ومن حقنا أن نفعل بجمالهن وفتنتهن ما نشاء؟ >>[3]. وفي نفس الوقت يحذر منها لأنها هي سبب مصائب الرجل وأنها رمز الخطيئة<< فاحترس! المرأة كالأسحار، المرأة كخلطة من أخلاط السحر، إذا غفلت في أصغر شأن، أصابك أكبر مصاب، فاحترس!>>[4].

تبدو لنا نظرة الكاتب الصوفية للمرأة نظرة عدوانية وكره، في الوقت الذي كانت فيه عشق وتوق فمشاعر الكراهية التي تتدفق من جميع رواياته إنما تخفي حنينا للمرأة. فهو يصور لنا كائنا ناعما كالحيّة عندما تلمسه تلدغه بسمومها وترديه بترياقها فتحول حياته إلى جحيم أبدي لانهاية له وإلى ظلمة قاتمة [5].

---

(1) إبراهيم الكوني، عشب الليل، ص109.

(2) المصدر نفسه، ص 168.

(3) المصدر نفسه، ص49.

(4) المصدر نفسه، ص59.

(5) حليمة دحماني، رمزية الصحراء في روايات إبراهيم الكوني(نزيف الحجر و التبر وعشب الليل) نماذجا، ص283.

الفصل الثاني

❖ الهامش والنماذج الاجتماعية

- توطئة.
- المجتمع الصحراوي (الطوارق).
- الظلم والانتقام.
- اللباس والتعري في المجتمع الصحراوي.
- المجتمع الأمومي(المرأة والزواج).
- المجتمع الوثني.
- العتمة والسّواد.
- العزلة الاجتماعية.
- الظُلمة وتيمة الليل.

الهامش والنماذج الاجتماعية:

توطئة:

إنّ دراسة موضوعة الهامش الاجتماعي في الأدب لم تخضع للبحث النقدي بما يكفي، فليس ثمن دراسات كثيرة تناولت المهمّشين ووضعياتهم في المجتمع مقارنة بالمركز اللهم إلا أبحاث علم الاجتماع التي تناولت التهميش الاجتماعي، أبعاد الظاهرة ودلالاتها في سياق التحولات التي شهدها ويشهدها المجتمع العربي سياسيا واجتماعيا واقتصاديا [1].

إنّ المجتمع قادر على ابتداع أعراف وقواعد ما تصبح فيما بعد قوانين تلزم الفرد على الانصياع لها وعدم تعديها، ليظهر كل ذلك على شكل أفكار وقواعد تصبح فيما بعد سلطة في مجال ما، فالايديولوجيا المتشددة فرضت تاريخيا أفكارها ورموزها، وسلوكيات خاصة لأفرادها، فالقبول والرفض كان من مركز واحد، ومن يعارضها فهو مرفوض ومنبوذ، إذ تعتبر أن أفكارها وما تخطه من أساليب وطرق هو الصواب، فهي تؤمن بالرؤية الواحدة التي لا تقبل الريبة والشك [2].

1/المجتمع الصحراوي الطارقي(الطوارق):

كشف لنا "إبراهيم الكوني" في جميع أعماله الروائية، عن جانب من حياة تلك المجموعة البشرية، وهي قبائل الطوارق البربرية، تلك السلالة العريقة التي استوطنت الصحراء الإفريقية، من سواحل الأطلس غربا إلى منعرج نهر النيجر شرقا ضمن الحركة الأوسع للقبائل الصنهاجية [3].

من خلال الروايتين"الورم" و"عشب الليل" يحاول الروائي إبراز شعب مهمّش إذ يحاول

---

(1) هويدا صالح، الهامش الاجتماعي في الأدب، قراءة سوسيولوثقافية، دار رؤية، القاهرة، مصر، ط1، 2015، ص8.

(2) صورية جيجخ، المركز والهامش في روايات عز الدين جلاوجي، شهادة دكتوراه، تخصص أدب حديث ومعاصر، جامعة محمد خيضر، بسكرة(الجزائر)،2015 /2016، ص23.

(3) حليمة دحماني، رمزية الصحراء في روايات إبراهيم الكوني(نزيف الحجر و التبر وعشب الليل) نماذجا، ص130.

التفتيش عن مجتمع ضائع أو أوشك على الضياع .

فالروائي"إبراهيم الكوني" يسمي شخصياته بأسماء طارقية وهي أسماء ليبية قديمة كضمانة لوجودها وحضورها وسط مجتمعات مهيمنة، تهدد هويتها بالضياع والذوبان فيها، ففي رواية "الورم" نصاف الشخصيات التالية:"أساناي"، "إيدينان"، "أساروف"، "وفي رواية "عشب الليل" وان تيهاي"، "الحكيم بوبو"، "العبد آفر"، "أغوللي"، "أهلوم"، كلها أسماء لشخصيات طارقية .

ويرجع سبب التسمية بالطوارق إلى «أنّهم طرّاقوا الصحراء ومرتادوها، وطوارق جمع طارق وهو الآتي ليلا على اعتبار أن الصحراء كالليّل وأن السالك لشعابها كالسّائر في الليّل كما أن العابرين للصحراء كثيرا ما يضطرون لقطعها ليلا والإقامة نهارا لشدة الحر»[1]. ومن النماذج الاجتماعية في روايتي "**الورم**" و"**عشب الليل**" نجد:

2/الظلم والانتقام:

في عرف الصحراء الظلم والانتقام من الآخرين ليس عدالة، وإنما هو إثم يرتكبه الإنسان، بدافع الحمق، ولابدّ لصاحب الانتقام من أن يدفع ثمن جريرته، قصُر الزمان أم طال، في رواية "الورم" نتحدث عن "أساناي" الذي عزم على استنزال أبشع انتقام بأعدائه، إلا أنه بسبب روح الانتقام خسر كل شئ يمتلكه إذ أقدم على قتل غريمه الذي رفض أن يعيد له زوجته التي اشتراها منه، لأنها راقت له. كان ذلك العمل الانتقامي، هو أول خطيئة في حياته، والتي سيدفع ثمنها غاليا [2]. «وقد دفعها بالفعل، بخسارة كل الصفقات

(1) محمد وارجو، الطوارق الشعب الأمازيغي المنسي، جريدة تمازيغت، ص3.

(2)أمحمد رخرور، تجليات العجيب والغريب في روايات إبراهيم الكوني" أساطير الصحراء و" ميتولوجيا الطوارق"، ص273

التي أعقبت ذلك الفعل القبيح. لينتهي به الأمر، لا إلى المبيت في طرقات الواحة، والمأوى، والسكينة، والسعادة، والمال، والتجارة، وأصبح فقيرا، مشردّا، يتسكع في طرقات الواحة>> [1]، لقد خسر كل شئ، الراحة، والمأوى، والسكينة، والسعادة، والمال، والتجارة، وأصبح فقيرا، متشرّدا، يتسكع في طرقات الواحة، ويبيت في خلاء الصحراء الموحش.

وفي مفهوم الصحراء، أن الانتقام استهانة بتعاليم "آنهي" المقدسة، واستخفافا بوصايا الأسلاف الجليلة، وبالمقابل هو امتداح للإثم، وتفضيل للرذيلة، واستباحة لحرمة الدماء، وهذا ما وقع فيه "أساناي"، ملك الواحة الجديد، حيث ما إن توّجه الزعيم وليّ أمر الواحة، حتى تناسى تنبيه رسول الزعيم الذي حذّره من الانتقام، واتجّه صوب رأسا صوب غريمه القديم فقتله، واستردّ قرينته السلبية، التي باعها له بحفنة من تبر. ولكنه لم يقدر على معاشرتها بعد ذلك، فطردها من قصره ثم أرسل خلفها أحد زبانيته ليكتم أنفاسها [2]، <<ولكن انتقامه ذاك لم يكن العمل الوحيد الذي اقترفه في سلسلة أعماله التي تستهين بالوصية، وتمتدح بالمقابل خطيئة النسيان>> [3].

إن ذات الطاغية هي نفس شريرة وسادية تمتهن القتل والتنكيل والاضطهاد، كونها تعاني اختلالا في نظامها الداخلي الرادع المحتكم إلى القيم والأعراف الاجتماعية والدينية في التعامل مع الآخرين[4]. إن الوصول إلى السلطة والاحتفاظ بها أمدًا غير محدود لدى الطاغية مسألة حياة أو موت، لأن حياته مبنية على الاستحواذ والقهر للآخرين، وموته مرتبط بتحرر الآخرين من سطوته وإمساكهم بمقاليد السلطة للإنتقام منه، ونتيجة المعادلة بين الطاغية والمجتمع.

---

(1) إبراهيم الكوني، الورم، ص25

(2) أمحمد رخرور، تجليات العجيب والغريب في روايات إبراهيم الكوني" أساطير الصحراء و" ميتولوجيا الطوارق"، ص 274.

(3) إبراهيم الكوني، الورم، ص33-34.،

(4)صاحب الربيعي، سلطة استبداد والمجتمع المقهور، مكتبةص مومن قريش، سورية – دمشق، ط1، 2007 ص36،www.darsafahat.co

ببساطة هي الفوز بالسلطة[1].

3/اللباس والتعري في المجتمع الصحراوي

المجتمع الطارقي هو مجتمع أمازيغي كغيره من المجتمعات البشرية الذين يقيمون في صحراء شمال إفريقيا، له عاداته وتقاليده المتميزة، ينحدر الطوارق(الرجال الزرق) من نسب قديم قِدم فراعنة مصر، ويوغلون عميقا في انتمائهم إلى العالم العربي، غير أنهم كحال جميع الأقليات في البلدان العربية، مهمّشون، وغير معترف بهم كعرب ومحرومون من حقوقهم السياسية والاجتماعية، ويكادون يكونون مشطوبين من ذاكرة العرب الجماعية. يغلب على لباسهم اللون الأزرق النيل [2]. الذي يعتبر عندهم رمز للحرية والانعتاق، وهم يشتركون في لباس العمامة والعباءة، لذلك اشتهروا بالرجال الزرق.

بينما التعري فيحرص "الكوني" على التمييز بين نوعين منه، هناك التعري المفضوح الذي يجر الآثام هذا نوع تنفر منه الأخلاق، وهو منبوذ وكريه، وهناك التعري بمعنى التجرد من الآثام والتكفير عن الخطايا فهذا التعري يكتسي"نُبلاً و براءةً و بهاء!" [3].وتعري الصحراء، هو التعري النبيل والبراءة والفضيلة والجمال

وقد أخذ أهل الصحراء عن وطنهم الصحراوي، مفهوم التعري النبيل، فرأوا بأن اللباس خطيئة، وأن العري طهارة وحرية، ففي رواية " الورم" نجد حوار دار بين الأصدقاء الثلاثة "إيزير وأسان وأمازار"، حول حقيقة اللباس في ناموس الصحراء. " فأمازار" اعتبر اللباس الحقيقي هو جلدة الإنسان التي وُلد بها، وأن اللباس الذي يرتديه الناس في الصحراء، هو خطيئة، لأنه لباس غريب عن بدن الإنسان، ومما قاله:<< اللباس في ناموس الصحراء يجب أن يكون جلدة الإنسان التي وُلد بها ككل حيوان لا جلدة، يستعيرها من الأغيار، ما

---

(1) المصدر السابق، ص39

(2) عمر الأنصاري، الرجال الزرق:(الطوارق،الأسطورة والواقع)، دار الساقي، www.goodreads.com

(3) إبراهيم الكوني، وطني صحراء كبرى، حوارات، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2009، ص64.

مادامت طبيعتنا مستعارة من طبيعة صحرائنا، والخطيئة هي أن تُفتش عن جلباب أغراب نرتديه بديلا عن جلدتنا[1]!.

ولما سأله "إيزير" مستفسرا << ألا يعني أن هذا اللباس خطيئة في خطيئة؟ >>[2]. رد على الفور مؤكدا:<< بالطبع اللباس في أصله علامة خطيئة، لأننا وُلدنا عرايا، ليكون لنا جلدُنا لباسا، كما وُلدنا من بطون أمّهاتنا أحراراً! >>[3] ، ثم يبادره "أسان" بسؤال آخر:<<ألا يعني هذا أننا بهذا اللباس لسنا أحرارَا؟ "[4]. فيرد عليه "أمازار" بيقين الواثق<< نحن بهذا اللباس أسوأ أجناس العبيد، نحن بهذا اللباس خُطاة !>>[5].

ومن خلال هذا الحوار نجد أن أهل الصحراء من يعتبر أن اللباس هو عبودية وإثم لأنه اعتداء على طبيعة الإنسان. وأن التعري هو حرية وتحرر وفاء لطبيعة الإنسان الذي خُلق عاريا، فالخلعة الحقيقية هنا هي خلعة الجلد لا خلعة اللباس.

4/ المجتمع الأمومي(المرأة/الزواج):

لو أوغلنا في تاريخ البشرية القديم قبل ظهور الأديان، نجد أن المجتمع الإنساني البدائي أدرك أن الأنثى بالطبيعة هي أصل الحياة بسبب قدرتها على ولادة الحياة الجديدة فاعتبروها أكثر قدرة من الذكر وبالتالي أعلى قيمة ومن هنا سادت الفكرة في تلك العهود أن الآلهة أنثى وأنها آلهة الإخصاب والولادة والخضرة والوفرة والخير وكل شئ مفيد[6].

إن المجتمع الأمومي سلم الرجل السلطة للمرأة تسليما تاما تقديرا لخصائصها وقدراتها الخلاقة، فقد اتسعت دائرة مسؤوليتها نحو أبنائها من رعاية وعطف وأمومة وتعليم.

---

(1) إبراهيم الكوني، الورم، ص78-79.

(2) المصر نفسه، ص79.

(3) المصر نفسه، ص ن.

(4) المصر نفسه، ص ن.

(5) المصر نفسه، ص ن.

(6) حليمة دحماني، المقدّس وتجلياته في كتابات إبراهيم الكوني، ص147.

يظهر أثر المرأة في المجتمع الطارقي في النظام الاجتماعي حيث يرث الرجل الطوارقي الطبقة التي تكون عليها أمه، بصرف النظر عن الطبقة التي ينتمي إليها الأب، كما أن الرجل الذي يتزوج من امرأة أعلى من طبقته الاجتماعية ينال عمليا مكانة أعلى، وبالنسبة إلى الزواج فإن جميع المراسيم تتم في بيت أهل الزوجة، وتقيم هذه الأخيرة بعد زواجها عند عائلتها لمدة لا تقل عن سنة، وقد تمدد هذه المدة حتى تصل إلى خمس سنوات، ويبقى الزوج خلال تلك المدة يتردد على زوجته، لم يعود إلى مخيم والديه، وبعد أن تقوم الزوجة بإعداد جهازها و يأتي الزوج ليأخذ زوجته[1].

أما عن ما ورد في "عشب الليل" فيما يخص المجتمع الأمومي ذكره للملكة "تين هينان" في عبارة له<< إنهن جئن إلي الصحراء أول مرة في ركاب الكاهنة " تين هينان" بعد غرق الوطن الأول>> [2]. والمعروف عن "تين هينان" أنها هي ملكة الطوارق في الآهجار نسبها يفتخر الطوارق ويعتزون به، فهي أمهم وملكتهم العظيمة ومنها ينحدرون . وفي تصريح له في نص المتن يقول:<< تحدثوا عن الأم التي كتب عليهم أن ينتموا إليها من أول يوم، ويعبدونها في أيامهم كلها، وينسبوا سلالتهم إلى ملتها وحدها. لأنها كانت لهم سرا لم يجدوا له تفسيرا، ولغزا لم يذكرا رمزه، وطلسما لم يعتبر له حتى أدهى الكهان على كلمة السر، ولكنهم ولدوا فوجدوا إلى جدارهم الأم، وتمتموا فتكلموا بلسان الأم. واشتاقوا فكلمهم الناموس عن الأم، وفتشوا فألهمتهم السماء بديانة الأم >>[3].

5/ المجتمع الوثني :

من الأكيد والثابت أن للأمازغيين وخاصة الطوارق مثل الشعوب البدائية، معتقداتهم الدينية والوثنية الخاصة بهم، فقد كانت طقوسهم السحرية تعبر عن تفكيرهم الأسطوري

---

(1) المرجع نفسه، ص151.

(2) إبراهيم الكوني، عشب الليل، ص22.

(3) المصدر نفسه، ص89

الساذج الذي ارتبط بالطبيعة ارتباطا وثيقا يقوم على الإحيائية والأنسنة والتجسيد[1].

في رواية "عشب الليل" برزت بذور الوثنية في قول الرواي:<< في فرارها الأول ذهبت للاحتماء ببنيان الحرم. باتت ليلتها الأولى في دار القرابين، وأطعمتهما العرافة من مآكل النذور التي يوجد بها الواويون على الضريح بسخاء يفوق إنفاقهم على أنفسهم و على ذويهم >> [2]. وقوله أيضا:<< طافت حول الحرم مرات، فالطواف حول الحرم أو الضريح هو طقس وثني محض، فهو يدل على التبرك قصد الشفاء من الداء>> [3].

والمقطع الأكثر توثينا هو ما ورد على لسان الراوي "بعد أن اقترب من الحرم خطوة، وأوتي من علم النبوءة قليلا، واكتشف زيف البريق، زيف المعدن الذي يراه البلهاء كنزا، ويتعبدون له، وينحرون له القرابين تقرّبا ويقسمون باسمه كأنه الآلهة، ويسمونه ضياء بالباطل [4].

6/ العتمة والسّواد:

كثير من الشعوب تعتبر كلمة "السّواد" من الكلمات المحظورة والتي يتجنب نطقها البعض تشاؤما من ذكرها، اعتقادا منهم أنه توجد علاقة بين اللفظ والمواقف المرتبطة به، فلفظ الموت الموت عندهم مجلبة للموت لذا يتجنبوه فيتبعونها بكلمات من مثل" بَعْدَ الشَرِّ" لدفع الكارثة الكامنة وراءها[5].

أكثر ما ورد في دلالة السّواد أنه رمز للخيانة والغواية الجنسية والخطيئة، ورمزا للشرّ والإجرام، وإشارة الفزع وجاء رمزا للّعنة أو لسوء الحظ والشؤم والفناء والحزن.

كما يدل أيضا هذا اللون على عدم رضا الشخص عمّا يحيط به وشعوره بأنه لا شئ

---

(1) حليمة دحماني، المقدّس وتجلياته في كتابات إبراهيم الكوني، ص156.

(2) إبراهيم الكوني، عشب الليل، ص07.

(3) المصدر نفسه، ص11.

(4) المصدر نفسه، ص34-35.

(5) حليمة دحماني، المقدّس وتجلياته في كتابات إبراهيم الكوني، ص120.

يظل كما هو وهذا ما نجده عند بطل إبراهيم الكوني في رواية عشب الليل.

فنجد أن البطل "وان تيهاي" الأب والجد في نفس الوقت يثور ضد القدر وضد الحظ فيتصرف بدون حكمة ويميل إلى التكتم حيثما يمجد ويعظم السّواد، وفي هذا الشأن يقول" أحمد مختار" في كتابه "اللغة واللّون" :<< ومن يختار الأسود في المركز الأول يريد أن يتخلى عن كل شئ ناتج عن معارضته حرونة ضد الحالة الحاضرة التي يشعر فيها بأنه لا شئ يجب أن يظل كما هو، إنه في ثورة ضد القدر أو ضد حظه على الأقل، ولذا يتصرف بدون حكمة في ثورته>>[1].

هذا يعني أن الأسود كسِلْبٍ يمثل التخلي، الاستسلام النهائي. وبطل رواية "عشب الليل" هو ذلك الكائن الظلامي والمسمى ب"سليل الظلمات"، وهو الجد الشيخ المتلفف بلباس أسود ولثام مسدل على وجهه طوال الوقت، إنه ذلك الرجل الذي يتمتع بالجاه والسلطة والمعظم للسّواد، حيث يقترن بأمة سوداء البشرة ويفتتن بها، ويزيد حبّه للسّواد حينما يكشف عشبة الليل التي لم يعرف لها أصلا غير الظلام حيث أنها تنمو في الليل. فالبطل "وان تيهاي" في هذه الرواية تخلى عن النّور والضّياء واستسلم للسّواد لأنه مفتتن به ولأن الظلام جعل منه رجلا شجاعا قويا يمارس فيه كل ما يرغب فيه ولا يستطيع فعله في وضح النهار. حيث ورد في الرواية بأنه << عرفت القبيلة مريدا للظلمات وشاعرا يتغنى بالسّواد>> [2]، قالوا إنه اكتشف جوانب خفية في لون العتمة، استعصت على كل من سبقه من شعراء القبيلة.

بيّن لنا "إبراهيم الكوني" تعلق "سليل الظلمات" للون الأسود، وعدوانية الإنسان تجاه نفسه وتجاه أبناء جلدته فيجعل من عملية إراقة دمه واجبا وجوديا لإحلال نفسه في الكون

(1) أحمد عمر مختار، اللغة واللون، عالم للكتب، القاهرة ، مصر، ط2، 1997، ص196.

(2) إبراهيم الكوني، عشب الليل، ص17.

فيقول:<< لماذا يتحفز البلهاء للقاء التهلكة، لماذا يندفعون إلى ألسنة النار ليحترقوا بألسنة ألم يروا مآل الكائنات التي اختارت العيش تحت الشموس؟ ألم يجربوا الخصام والمكائد والكراهية وكل أمر شقي؟>>[1].

كذلك كشف لنا "إبراهيم الكوني" عن مناطق محرمة ومعتمة من خلال وصفه لجسد المرأة الزنجية التي عشقها "وان تيهاي"، وباح بالمكبوت عن طريق عشقه للظلام والسّواد، فوصف أدّق خفايا الجسد، وعرّي أعضائه كلها دون استثناء، وفجّر طاقاته التي لم يقف فيها عند حدود[2].

مما سبق نستنتج أن شخصية هذا الأب الجدّ تنطلق من أفق القيمة في شطر الدنيا إلى نصفين غير متساويين لأن الغلبة ستكون بالنسبة إليه، فاللون الأسود يحيل إلى السّيادة والسلطة والجرأة والدّهاء.

7/ العزلة الاجتماعية:

إن جل روايات "الكوني" تتمسرح أحداثها في الصحراء المعزولة في أقصى الجنوب الليبي، وفضاء لا متناهي من الرمال الجارفة والصخور الوحشية وأشجار الشوك والشمس الجهنمية، إنها صحراء قبيلة الطوارق التي ينتمي إليها الكاتب بالمولد والنشأة والتربية، وبكل عناصرها الطبيعية والإنسانية والأسطورية بكل معتقداتها وتصوراتها وقيمها، فالروائي يحرك الشخصية ويرسم لها مسارها ويفسر تصرفاتها ويطلق أحكامه الأخلاقية والقيمية على أفعالها، فهذه الشخصية نجدها تعيش أو تحبّ العزلة [3].

في رواية "عشب الليل" كان وان تيهاي(سليل الظلمات) محبّا للعزلة والسّواد والعتمة، لأنه كان يريد أن ينال بهما الخلود والحرية، فهاجر إلى واد الجن ليقيم في خيمة

---

(1) المصدر السابق، ص37.

(2) حليمة دحماني، المقدّس وتجلياته في كتابات إبراهيم الكوني، ص121

(3) حليمة دحماني، رمزية الصحراء في روايات إبراهيم الكوني(نزيف الحجر و التبر وعشب الليل) نماذجا، ص261.

بعيدة عن مضارب القبيلة، كما أن عزلته زادت عن حدها عند اكتشافه للعشبة السحرية (عشبة الليل) فهو يختار العزلة والهدوء لينال مبتغاه وبعيدا عن مرأى الكل، فكان يحس بالعثور على الذات وهو في عزلته سواء في مخبأه أو في ذلك الخلاء العاري ليلا ليبحث عن عشبته الخرافية التي تجعله رجلا بمعنى الكلمة .

مما سبق نجد أن شخصيات "الكوني" أبت النزوح إلى المدن والبلدان القريبة من تخوم الصحراء، إنهم قوم مثلت غرائز نشأتهم المعزولة وطبيعة طفولتهم الخشنة أبجدية تعلقهم بالصحراء بحسبانها وطنهم الفسيح الممتد، ألفوا الصحراء وعشقوها بكل حبة رمل فيها رهانهم الذي لن يندحر أبدا من ولن ينفلت من عزيمتهم وإرادتهم مهما تكالبت عليهم الكوارث والفجائع، الصحراء هذا الحيز المكاني المنفرج على رحابة الخوف والرهبة والوحشة يهيمن فيه المنطوق الجمعي للقبيلة على رؤى الأفراد مؤسسا سلطة جمعية قد يكون جزاء الخارج عليها الحرمان من المجتمع الحميم والإفلات في مفازة العزلة[1].

8/الظُّلمة وتيمة الليل:

إنّ الصحراء مغمورة بالظلمة الجليلة، وما السكون الخالد إلا رديف هذه الظلمة، يُنعش الذاكرة ، فيستيقظ خيال الصحراوي الذي يربطه بالزمن القديم، زمن الظلمات الأول، حيث يرى فيه أهل الصحراء الحية الخالدة في "واو" يفر الصحراوي من صحرائه ومن نفسه عبر الظلمات، ليلوذ بأسلافه الحكماء ويستعيد أسرار "آنهي" المقدس، ويلج حرم الأم المقدسة، الذي يقضي الصحراوي حياته بحثا عنها. يسري تأثير المشهد الخيالي الذي تسمح له الظلمات أن يراه في جسده [2]، فيشتغل بدنه بالشرر<< شرر الوحي وميض الإلهام، فانتفض واشتعل بالحمّى>>[3].

---

(1) المرجع السابق، ص262.

(2) أمحمد رخرور، تجليات العجيب والغريب في روايات إبراهيم الكوني" أساطير الصحراء و" ميتولوجيا الطوارق"، ص224.

(3) إبراهيم الكوني، السحرة، الجزء الأول، المؤسسة العربية الدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1994، ص313.

إنّ الليل في رواية "عشب الليل" يعبّر في الغالب عن لحظات نفسية، يعيشها البطل، وسط ظلمة الليل، لذلك يتحول الليل إلى مقوم أساس في البحث عن العشبة السحرية التي لايعثر عليها باحثها إلا ليلا، ووجودها مقترن بهذا الزمن الذي يختلف على النهار ، وهذا سر من أسرار الليل، الذي تفوق به عن النهار[1].

كشف لنا الروائي عن الرحلة التي قادة البطل للتفتيش عن العشبة نهارا، إلا أنه لم يستطع العثور عليها إلا في خروجه ليلا، << في الوادي فتّش عن العشبة منذ الظهيرة حتى الأصيل، ولكن العشبة اختفت من أركان الوادي، وتبددت من شقوق السفوح، اهتدى إلى أثر جولة البارحة، وعثر على المكان الذي انتزع منه حاجته من وجبة الليلة الفائتة، ولكن لا أثر تبقى للعشبة كأنها انقطعت. كأن نيران القيلولة حرقتها حرقا فتبدّد حتى رمادها وذرته رياح الجنوب. أو كأنها لم تكن أصلا ولم توجد، وما تناوله لم يكن إلا رؤيا من رؤى الليالي شبح من أشباح الخفاء>> [2].

فالنهار يخفي العشبة من الوجود، كما لو أنها لم تنمو أصلا، كما يقول الروائي:<< يئس فعاد إلى الخباء، انتظر حلول العتمة وخرج إلى الوادي للقيام بالجولة الليلية، لم يصدّق عندما وجد العشبة في المكان نفسه الذي فتّشه وحرثه مع عبيده في النهار>>[3]. فهذه العشبة الليلية لها سر خفي وعجيب في أنها تتجلى ليلا، وهي سمة من سمات الجن والأشباح.

إن تيمة الليل ذكرت في الفقرة الأولى من رواية "عشب الليل" وارتبطت هذه التيمة بحفيدة "وان تيهاي "التي هربت ليلا من تصرفات جدها، فكان المعبد ملاذا لها تشتكي إليه<< في فرارها الأول ذهبت للاحتماء ببنيان الحرم. باتت ليلتها الأولى في دار القرابين

---

(1) عبد الصمد جلايلي، الفضاء الأسطوري في روايات إبراهيم الكوني، شهادة دكتوراه، جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم(الجزائر)، 2018/217، ص152-153.

(2) إبراهيم الكوني، عشب الليل، ص43.

(3) المصدر نفسه، ص44.

وأطعمتها العّرافة من مآكل النذور التي يجود بها الواوين على الضريح بسخاء يفوق إنفاقهم على أنفسهم وعلى ذويهم>>[1].

بالإضافة إلى أن الروائي ذكر الكثير من الدلالات عن تيمة الليل نذكر منها:

ـ اقتران "وان تيهاي" بزنجية ورفضه الاقتران بالبيضاوات محبة في لون الليل(السوداء)

<< أوه. يا سماء الصحراء الموشومة بالنجوم، ما أقبح البيضاوات !>>.

بعد انتشار الأغنية الجديدة بزمن قصير فوجئ القوم بالشق يدخل إلى بيته قرينة جديدة : كانت أمة زنجية أشد سوادا من قطعة الفحم [2].

-يكشف "وان تيهاي " سر الظلمة وسر العميان الذين لا يملكون البصر"الآن، فقط ، عرف سبب تفوّقهم على قرناء البصر الذين يعتقد الناس أنهم يبصرون. الآن، بعد أن جّرب ضياء المملكة الخفيّة التي يسميها بلهاء القبائل ظلمة، وتحمّم بسلسبيل النبوءة، وتلبّس الخفاء في وطن الحقيقة >> [3].

_اختفاء العشبة نهارا وظهورها ليلا بين الأحجار.

الحوار الليلي الذي دار بين "وان تيهاي" وحكيم القبيلة "بوبو" حول الأقنعة وسر اللثام الذي يعتبر قناعا للهروب من ضوء النور <<استمع إليه ليلتها غائبا>>[4].

-وصف حبّ "وان تيهاي" لسواد الزنجية ابنة الأدغال والسواد زادها حسنا لأنه يقترن بظلمة الليل<< بعد الاقتران ببنت الأدغال ازداد بالسواد تعلُّقا، وكبر في عينيه حُسن العتمة إلى حدّ أَلْهمه الشّعر، فعاند أبياتا أثنى عليها كلّ من سمعها >>[5].

-موت البطل "وان تيهاي" ليلا على يد حفيدته<< تسللت بالمدية الجسد. إلى الجرم

---

(1) المصدر نفسه، ص07.

(2) المصدر نفسه، ص30.

(3) المصدر نفسه، ص34.

(4) المصدر نفسه، ص63.

(5) المصدر نفسه، ص33.

المحموم...غاص نصل في بطن الجسد الزاحف >>[1].

إن موضوع "الليل" يرهن حياة البطل وبقائه في الرواية من أولها إلى نهايتها، فالليل زمن نفسي روحاني بالنسبة للبطل، لأنه يشكل الحالات المتعلقة بالأفعال النفسية كالإشباع، والرغبة، والإثارة الجنسية، دون وجود م مقابل مادّي يحقق هذه الحالات [2].

سعى "إبرهيم الكوني" إلى تعميق حالة الضياع والتهميش التي عايشها المجتمع الصحراوي، وكذا إبراز حلمه بالحرية إلا أنه يقف عاجزا عن فعل شئ أمام قوة وسلطة الناموس.

(1) إبراهيم الكوني، عشب الليل، 183.

(2) عبد الصمد جلايلي، الفضاء الأسطوري في روايات إبراهيم الكوني، ص153.

خاتمة

خاتمة

وفي الختام يمكن القول أننا وصلنا إلى حوصلة لأهم النقاط في هذا البحث ونلخصها كالآتي:

-تمكنت الرواية العربية التي عنيت بالهامش والمهمش من أن تحظى بالاعتراف النقدي بتميزها لقدرتها على تجاوز الأدب المركزي، حيث نقلت أصوات المهمشين بعناية تعبر من خلالها عن قضايا مجتمع وتصورات الإنسان في مشاهد تراوحت بين الحقيقة والخيال.

-تجلى الهامش في روايات إبراهيم الكوني" في فضاء الصحراء في صور عديدة كالظلم والسواد والعزلة وفيها التصوير الفني الرصين لحقيقة هذه الحياة وسكانها، وحمولاتها الثقافية والدينية .

-تكمن جمالية الروايتين في الربط بين الحاضر والماضي، يعرض"إبراهيم الكوني" في جلّ رواياته البيئة الصحراوية والأجواء فيها خرافية، لكنها تحيل ضمنيا على ما عاشته البلدان العربية داخل ما يسمى بالربيع العربي.

-القضية التي عالجها "الكوني" عبر شخصياته، قضية الشعب الأمازيغي في ليبيا وهم الطوارق، وضياع في هويتهم واندثار لغتهم، وإعادة بعث هذا الشعب من جديد وبعث هويته وخصوصيته من رماد التاريخ.

-استطاع "الكوني" بفضل طريقته في الكتابة أن يخصص لنفسه مكانة راقية ومميزة في الوطن العربي، والمحافظة على شعب مهمّش ومنسي، وأراد أن يحتفظ بهويته الحضارية الأصيلة.

-قدم لنا "إبراهيم الكوني" من خلال رواية "الورم" أن حبّ السلطة عندما يستحوذ على الإنسان شبيه بالورم الذي ما إن يصيبه حتى ينتشر بكافة جسمه ويكون سببا في هلاكه، ويصير عبدا لشهوة السلطة.

-إنّ الميتولوجيا الطارقية تم تشخيص جزء منها، في رواية عشب الليل"، وهي مرتبطة بالتفكير والطقوس والعادات والتقاليد، وبالتنظيمات والمؤسسات الاجتماعية وبالوجود الإنساني ، إنها تعكس جانبا من هويته الثقافية والحضارية.

-أهم ما يميز أعمال "الكوني" أنه كشف لنا حياة قبائل الطوارق البربرية إذ قدم لنا شخصيات بأسماء ليبية قديمة، فالتسمية رمز لإبراز الهوية الطارقية، وتأكيد عن حضورها خاصة في سياق وضع سياسي يضطهدها ويهددها بالتلاشي.

-تشكل لغة التماهق أو التماشق في الصحراء نسبة مقصودة في روايات "إبراهيم الكوني" والهدف من حرصه على توظيف هذه اللغة ونقلها للقارئ، قصد تحقيق غايات وأهداف أنثروبولوجية وجمالية ولكي لا تفقد خصوصيتها وقيمتها.

-إنّ عالم الصحراء الموجود على صفحات روايات "الكوني" ليس محصور في معاني الفقر والحرمان والهلاك وغيرها من المعاني السلبية، بل أخذت أبعاد إيجابية عند الروائي من خلال ارتباطها بالإنسان العربي المرتبط بحياة الصحراء.

-صوّر لنا الروائي المرأة على أنها شخصية مهمّشة ونظر إليها نظرة عدوانية وكره، في الوقت الذي كانت فيه عشق وتوق فمشاعر الكراهية التي تتدفق من جميع رواياته إنما تخفي حنينا للمرأة.

-إن مشروع "إبراهيم الكوني" هو تأسيس مجتمع طارقي، وإعادة عزّه وسلطانه، هذه الأقلية المهمّشة والمقصاة من خريطة العالم السياسية، والاقتصادية وحتى الاجتماعية والثقافية.

وفي ختام القول: نأمل أن نكون قد وفقنا في إنجاز هذا البحث، وتسليط الضوء على واقع المجتمع الليبي الصحراوي، ويبقى هذا البحث مساهمة بسيطة نحاول فيها الكشف عن جوانب الموضوع.

وفي الختام نسأل الله التوفيق والسداد.

الملاحق

الملحق 1: ملخص رواية الورم.

الملحق 2: ملخص رواية عشب الليل.

الملحق 3: سيرة الكاتب.

ملحق1:

ملخص رواية الورم:

تتكون الرواية من17 فصلا وتقع في184 صفحة من الحجم المتوسط، عناوين الفصول تجتذب القارئ وتحثه على متابعة أحداث الرواية واقتناص غاياتها والتلذذ بلغتها ومضامينها:(الخلعة، البشارة، البلاغ، القرينان، الواحة، الزعيم، الخطيئة، الطريدة، الجسد، الصفقة، المساءلة، الضحية، الخِلّ، الحجاب، الورم، الحقيقة، الناووس).

والفصل الأول فيها معنون ب: الخُلعة، وتمثل الموضوع الرئيس في الرواية وكل شئ يدور حولها. وترمز الخُلعة للسلطة في تجلياتها القصوى.

الورم أيضا عنوان الفصل15 من الرواية ويمثل عقدتها التي تؤذن بتبدل الأحوال وسوء المآل.

صدرت أول طبعة لرواية "الورم" سنة2008م، وهي عبارة عن رحلة أدبية فلسفية مرهقة للذهن منعشة للروح، يثير الكوني في هذه الرواية سؤالا كونيا أزليا حول قيمة الجسد في مقابل قيمة الروح، أيهما الأولى بالتكريس له والعمل من أجل الإبقاء عليه الجسد هو الذي يتحرك في فضاء هذا الكون ويعمل ويبني ويحيي الحضارات بينما يتم إسناد كل منجز معنوي أو عقلي للروح. إن الكوني يضعنا دائما عند حدود الأسئلة لا تشفي القليل بيقين واحد قد يؤدي إلى راحة النفوس، وينقلنا بلغته المحبوكة وثقافته إلى عالم الصحراء حيث الرموز المجهولة القابعة في الواحات والفيافي تبحث لها عن موطئ قدم يبرر الوجود الإنساني فيها

يرجع سر تسمية الكاتب روايته ب" الورم " إلى المآل الذي يؤدي إليه الافتتان بالسلطة، أي إلى النهاية الحتمية لمريد الزعامة والتي عبّر عنها الكوني ب "الخلعة" رمزا لامتلاك السلطة وفي الآن نفسه تمثل مصرعا من مصارع الاستبداد وتبعا لذلك فقد كان اختيار الاسم مناسبا جدا ومعبرا عن فحوى الرواية، فحبّ السلطة عندما يستحوذ على الإنسان شبيه الورم الذي ما إن يصيبه حتى ينتشر بكافة جسمه ويكون سببا في هلاكه،

وبتعبير آخر: إن الورم هو الداء الذي يصيب الإنسان حين ما يصير عبدا لشهوة السلطة، خادما لغواية الزعامة.

تدور الرواية في مجملها حول شخصية رئيسية مهووسة بالزعامة، حيث يسعى الطاغية " آساناي" للاحتفاظ بالسلطة المتمثلة في الخلعة الميتافيزيقية التي تلقاها هدية من شخصية مجهولة الهوية هي الزعيم الذي لم يسبق لأحد أن رآه.

تجري أحداث الرواية مكانيا في تلك الواحة القابعة في عمق الصحاري الجرداء حيث تتغير حياة "آساناي" من عبد تعيس في قومه، منبوذ وحقير لا يقدر على شئ إلى مريد السلطة مالك لها، إذ يأتيه الرسول ببشارة تجعل منه (صاحب الخُلعة) بأمر من زعيم الصحراء ليكون بعدها سيد واحته وملكا على رقاب رعيته.

يرتدي "آساناي" الخلعة فيفسد في الأرض بغير حق، ويكتم أنفاس الرجال ويلهو مع الجواري من نساء الواحة، ويفرض المكوس ويقتل أهل المشورة من الكهنة والسحرة ومريدي الحكمة، ويرتكب الجريرة تلوى الأخرى بحجة أنه خليفة وأنه يملك السلطان.

يأتيه رسول الزعيم ليستردّ منه الخُلعة بسبب خيانته الأمانة وتفريطه في حق الناموس، فيصدر الحكم على آساناي بخلع الخلعة عن جسده الملتصق بها، لقد حكم عليه أن يسلخ جلده وهو حي، فيموت نزفا أو حزنا، كما أخبره بذلك رسول الزعيم. لكن آساناي ينكر الحكم ويرفضه ويشق عصا الطاعة فيرتكب خطيئته الأخيرة بقتل الرسول وإنكار وجود الزعيم. يتحول آساناي بعد ذلك إلى (مريد الاحتجاب) معتزلا مريضا شريدا منكفئا على ذاته كارها للحياة والملذات. وبعد أن يتماهى جلد آساناي بخُلعته، يتفشى الورم في هذا الجسد فيشرف الطاغية على الهلاك، ويتردّى إلى قعر الذل والهوان.

انتهت الرواية بموت البطل "أساناي"، لفظ أنفاسه الأخيرة بين يدي اللئيم " وانتهيط" الذي تنكر له في هيئة ضيف الغرباء، وضعه في سرداب تحت الأرض ليتحول مع توالي الأيام معبدا مجسدا في بنيان مهيب.

ملحق2:

ملخص رواية عشب الليل:

يضعنا الكوني في هذه الرواية في مواجهة بطله "**وان تيهاي**" الكائن الظلامي أو سليل الظلمات، كما أطلق عليه الكاتب وهو الجد الشيخ المتلفف بلباس أسود ولثام مسدل على كامل وجهه طوال الوقت، إنه رجل يتمتع بالجاه والسلطة، ويعيش في مجتمع صحراوي (الصحراء الليبية) تزوج مراراً، اقترن "وان تيهاي" ثلاث مرات: فالقرينة الأولى يعود نسبها إلى قبائل"آهجار"، ولكن هذه القرينة لم ترث عن نبالة أسلافها إلا اللون، يروى أنها كانت في بياض الحسان التي تقول الأساطير أنهن جئن إلى الصحراء أول مرة في ركاب الكاهنة "تين هنان" إلا أنه قرانه بحسناء الأساطير لم يدم أكثر من ثلاثة أيام، ليعاود الزواج مرة أخرى بإحدى بنات قبيلة أتت من صحراء الغرب، لم تكن ذات بشرة كسليلة قبائل "آهجار" ولكنها نافستها في البهاء بل فاتتها جمالاً. والقرينة الثالثة كانت أمة زنجية والتي رحل معها إلى وادي الجن، حيث يختار العزلة بعيدًا عن مضارب القبيلة أحبها وافتتن بها بالرغم من أنها سوداء البشرة. وفي يوم من الأيام خرج لاكتشاف حدود تلك المنطقة، فوجد فيها نبتة حيث بدأ يتساءل عن سر هذه النبتة التي وجدها في زمن عانت الصحراء فيه من جذب، قائلاً: "من أين جاءت هذه النبتة الخفية في واد تكاد تحترق فيه الحجارة؟" وهل لها نصيب من سر شجيرات الرتم التي تشجم ولا تيبس". فهرسها بقدميه الحافيتين فأحس بسائل يغمر بطن قدميه فتخدرت قدمه وخف وقعها على الأرض، ثم بدأ يفقد الإحساس بها نهائياً عاد على عقبية وفتش عن العشبة بين الشقوق، فوجدها وعليها سائل لزج فتذوقه بطرف اللسان، فوجد طعمها غريبا ذكره بطعم قديم أشعل في صدره الفضول والحنين، نهش نصيبا من الورقة المنكمشة فتزعزع فجأة وخرج من الصحراء ليطوف ممالك حلم بها كثيرا ولكنها لم يبلغها أبدا وتنعم بهناء لم يعرفه، ولكن الشهوة المنكرة لم تستول عليه إلا في اليوم التالي. حيث بدأ يتلوى بجوار الموقد ولفظ في فمه

زبداً كثيفا وبدأ يئن فهرعت إليه إحدى الإماء وانحنت مستفهمة فأمسك بها من يدها وجرها إليه ونال منها ما ناله. وفي يوم آخر احتاج إلى المزيد فسأل عبده "**آفر**" عن تلك العشبة فرد عليه أنها لم يعرف لها أصلاً غير الظلام فهي تنمو في الليل، ولكنها تتبدد ما إن تطلع الشمس وأنها تطوف به البلدان وترتعه إلى المملكة المنسية وأنها تعذب الإماء عذابا، من هنا تبين له أن عشبة الليل هذه تمكنه من معاشرة أي امرأة أراد، ومن ثم أنجب أنثى من سليلة الأدغال التي تعرضت لعملية اغتيال ناجحة على يد بنات القبيلة، رحلت وتركت ابنتها الوحيدة، وهنا يبدأ التمرد القديم الذي ظل مضمرا يجيش ويمور في أحشاء سليل الظلمات على الناموس الصحراوي. غير أنه لم يكن وحيدًا في مغامرته بل كان يرافقه عبده الحكيم "بوبو" الذي نال الخلود عبر ذات الطريق الخارق للناموس، إنه صورة مصغرة لمولاه، فهو إن اتخذ هيئة دور المساعد على التمرد العدمي على الناموس يبقى الأستاذ والمعلم لمولاه سليل الظلمات،لكنه حين يفشي سر خلوده لمولاه يخسر سره الخاص.

يقتل المولى الحكيم العجوز بالمِدية التي ورثها عن أسلافه، واتخذ قبره سريرا وعرشا، إلا أن "بوبو" لم يكن الضحية الوحيدة لسليل الظلمات فقد سبقه عدد من العبيد الذين قطع المولى ألسنتهم منعا للوشاية وإفشاء وبتر العضو الجنسي للعبد "**آفر**" الذي اختاره قرينا لابنته، بعد كل جرائمه هذه يقترن بابنته، فتنجب الابنة من الأب الحفيدة لتكبر وتصبح فتاة فيريد معاشرتها، ولكن الحفيدة ترغم على ذلك مكرهة، فتخرج إلى الشوارع ثائرة ضد الجدّ، حيث لم يصدق أحد مزاعمها عن الممارسات السفاحية لجدها معها، فتعود إلى خبائه مكسورة، مهزومة، مجللة بالعار، لكنها اتخذت قرارها النهائي بقتله، فتستعمل المِدية التي كانت تعود أصلاً للحكيم "بوبو" والذي قتل بها على يد سليل الظلمات، إذ تحتوي على نصلين أحدهما سرب في داخلها ينطلق إلى الجهة المعاكسة بمجرد أن يطعن جسما آخر(بمعنى أن الحفيدة طعنت نفسها حين دفعت بالنصل القاتل إلى بطن الجدّ إبان المسافحة).

ملحق 3:

- **تعريف إبراهيم الكوني:**

ولد إبراهيم الكوني بغدامس ليبيا عام 1948م أنهى دراسته الابتدائية بواحات جنوب ليبيا، والإعدادية بسبها والثانوية بموسكو 1977، حصل ليسانس ثم الماجيستر في العلوم الأدبية والنقدية من معهد غوركي للأدب العالمي، يجيد تسع لغات وكتب ستين كتابا يعيش في سويسرا منذ 1993م .

يقوم عمله الأدبي الرائي على عالم الصحراء بما فيه ندرة وامتداد و قسوة وانفتاح على جوهر الكون والجود وتدور معظم رواياته على العلاقة التي تربط الإنسان بالطبيعة الصحراوية وموجوداتها، نشر إنتاجه الأدبي في صحف ليبية وعربية، عالمية على مدى 38 عاما الأخيرة .

وينتمي الكوني إلى قبائل الطوارق وهي قبائل تسكن الشمال الإفريقي من ليبيا إلى موريطانيا، كما تتواجد في النيجر ومالي والجزائر وهذه القبيلة مشهورة بأن رجالها يتلثمون ونسائهن يكشفن وجوههن[1].

- **أعمال إبراهيم الكوني:**

إن ما يميز أعمال الكوني أنها نجحت في أن تدفع إلى إعادة النظر ففي بعض الأفكار التي اعتبرت الرواية أو القصة من الأجناس التي لا يمكن أن تظهر إلا في المدن، وتمكنت من تشغيل الصحراء كفضاء يُغري بالتشخيص والتخييل كعالم جذاب، بالرموز والأساطير، فإبراهيم الكوني استطاع أن يكتب نصوصا تستنطق الصحراء بطرق فنية،

---

(1) سليمان كاصد، جريدة الاتحاد، (مقال)، بعنوان "إبراهيم الكوني"، أبحث عن الأسطورة لكي تخلقني، الخميس2008/03/06م.

جعلتها خارج التصنيفات الأجناسية المعروفة، فقد أصدر كتابا سنة1991م سماه" ديوان النثر البري"

ففي نصوص إبراهيم الكوني نجد الصحراء تكتسح الفضاءات والعوالم التخييلية وتتكشف قيمة النصوص عندما تأخذ السياق الذي ظهرت فيه[1].

- **مؤلفات إبراهيم الكوني:**
  - الصلاة خارج نطاق الأوقات الخمسة (قصص) 1974م.
  - جرعة من دم (قصص) 1983م.
  - شجرة الرتم (قصص) 1986م.
  - رباعية الخسوف 1989م.
  - البئر (رواية).
  - الواحة (رواية).
  - أخبار الطوفان الثاني (رواية).
  - نداء الوقواق (رواية).
  - التبر (رواية) 1990م.
  - القفص(قصص) 1990م.
  - المجوس (رواية) الجزء الأول 1990م.
  - نزيف الحجر(رواية)1990م [2].

---

[1]حسن المودن، جريدة الاتحاد، إبراهيم الكوني، الرواية لاتصير رواية إذا لم تتكلم لغة الأسطورة، الأربعاء2012/03/12.

[2]إبراهيم الكوني، الورم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، دار الفارس ، بيروت_لبنان، ط1، 2008، ص185.

- المجوس (رواية) الجزء الثاني 1991م.
- ديوان النثر البري (قصص) 1991م.
- وطن الرؤى السماوية (قصص) 1991م.
- الوقائع المفقودة من سيرة المجوس (قصص) 1992م[1].
- خريف الدرويش (رواية– قصص– أساطير) 1994م .
- الفم (رواية) 1994م
- برّ الخيتعور (رواية) 1997م.
- الفزاعة(رواية) 1998م.
- صحرائي الكبرى (نصوص) 1998م.
- الدمية(رواية) 1998م.
- وصايا الزمان 1999م.
- واو الصغرى (رواية) 1997م.
- فتنة الزؤان (رواية) 1995م.
- السحرة(رواية) الجزء الأول 1994م.
- السحرة(رواية) الجزءالثاني1995م [2].

---

(1) المصدر نفسه، ص185.

(2) المصدر نفسه، ص186.

❖ قائمة المصادر والمراجع

المصادر:

1.إبراهيم الكوني، الورم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، دار الفارس ، بيروت_لبنان، ط1، 2008م.

2.إبراهيم الكوني، عشب الليل، دار الملتقى للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط2، سنة 1997م.

المعاجم والقواميس:

1. ابن منظور، لسان العرب، مج 6،دار صادر، بيروت، لبنان، دط، دت.

2 إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، مصر، ط4، 2004م.

3. جبران مسعود، الرائد معجم لغوي عصري، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط7، مارس 1992.

4 .محمد عاطف غيث، قاموس علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، السويس، مصر، د ط، د ت.

المراجع العربية:

1. إبراهيم الكوني، السحرة، الجزء الأول، المؤسسة العربية الدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1994م.

2. إبراهيم الكوني، وطني صحراء كبرى، حوارات، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنلن، ط1، 2009م.

3. أحمد عمر مختار، اللغة واللون، عالم الكتب، القاهرة ، مصر، ط2، 1997م.

4. أحمد عوين، دراسات في السرد الحديث والمعاصر، الوفاء، ط1، 2009م.

5. صاحب الربيعي، سلطة الاستبداد والمجتمع المقهور، مكتبة مومن قريش،سورية-دمشق، ط1، 2007، www.darsafahat.com

6.محمد بوعزة، تحليل النص السردي، (تقنيات ومفاهيم)، الدار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر، ط1، 2010م.

7. هويدا صالح، الهامش الاجتماعي في الأدب، قراءة سوسيولوثقافية، دار رؤية، القاهرة، مصر، ط1، 2015م.

المراجع المترجمة:

1. جان وليام لاييار، السلطة السياسية، ترجمة إلياس حنا إلياس، منشورات عويدات، بيروت لبنان، ط1، 1974م.

2. ماكيا فلي، الأمير، ترجمة محمد البار، دار الأمة، برج الكيفان، الجزائر، ط1، 1998م.

3. ميشيل مان، موسوعة العلوم الاجتماعية، ترجمة عادل مختار الهواري، دار المعرفة الجامعية، مصر، دط، 1999م.

الرسائل:

1. أمحمد رخرور، تجليات العجيب والغريب في روايات إبراهيم الكوني" أساطير الصحراء و" ميتولوجيا الطوارق" ، شهادة دكتوراه، تخصص الأدب العربي ونقده، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة(الجزائر)، 2017م-2018م.

2. حليمة دحماني، المقدّس وتجلياته في كتابات إبراهيم الكوني، شهادة دكتوراه، جامعة سيدي بلعباس، 2017م/2018م.

3.صورية جيجخ، المركز والهامش في روايات عز الدين جلاوجي، شهادة دكتوراه، تخصص أدب عربي حديث و معاصر، جامعة محمد خيضر، بسكرة(الجزائر)، 2015م/2016م.

4. عبد الصمد جلايلي، الفضاء الأسطوري في روايات إبراهيم الكوني، شهادة دكتوراه، جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم(الجزائر)، 2017م/2018م.

المجلات والدوريات:

1. إسماعيل فتاتيت، تقنيات العمل الروائي عند إبراهيم الكوني (دراسة في رواية الورم)، المجلة العلمية لكلية التربية، العدد الرابع، كلية التربية، جامعة مصراتة.

2. إبراهيم الكوني، رواية عشب الليل، جماليات السواد ومغازي اختراق الناموس،(مقال صحفي)، 15أكتوبر 205.)

3. أحلام بن الشيخ، الواقعية وصناعة رواية المهمشين في المنظورين الاجتماعي والنقدي، مجلة مقاليد، العدد14، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة(الجزائر)، جوان 2018م.

4. أمل رشيد، قداسة الناموس وسلطته في أدب إبراهيم الكوني(مقال)، مجلة جيل الدراسات الأدبية والفكرية، العام الثاني، العدد11، جامعة تلمسان، سبتمبر2015م.

5.أمل زاهد، الكوني والمرأة عدوانية وكره أم عشق وتوق، مجلة الحوار المتمدن، العدد1671، 2006/09/12، 10:14.

6. جمال مجناح، جدل المفاهيم في موضوعة الهامش والمهمشين، قراءة تحليلية لمصطلح الهامش والمصطلحات المجاورة، جامعة المسيلة(الجزائر).

7. حسن البحراوي، أدب محمد شكري من الهامشية إلى المركزية، مجلة إعلاميات، العدد18،مكناس،المغرب،2002م،يوم2017/03/21الساعة11:53،
http://www.saidbengrad.net/al/n18/pdf18/2-18.pdf

8. حليمة دحماني، رمزية الصحراء في روايات إبراهيم الكوني(نزيف الحجر و التبر وعشب الليل) نماذجا، مجلة الإنسان والمجال، العدد05، البيّض(الجزائر)، أفريل2017م.

9. خالد ربيع السيد:بعد تفتيتها للقوميات والكيانات الكبيرة، العولمة تنفخ الروح في أدب المهمشين، .

www.okaz.com.sa/okaz/20070606/Cat2007060623590.htm-16k
بتاريخ 2009/02/15م.

10.حسن المودن، جريدة الاتحاد، إبراهيم الكوني، الرواية لاتصير رواية إذا لم تتكلم لغة الأسطورة، الأربعاء2012/03/12.

.خليل سمية ومشقوق هنية، الأدب النسوي بين المركزية والهامش.، http://revues.univ-ouargla.dz/index.php/02-2012/102-2013-04-24-10-51-18.htmlaf بتاريخ2017/03/21، ص113.

11. سامية سعيد عمّار, دروس أدب الهامش، جامعة الإخوة منتوري قسنطينة، كلية الآداب واللغات، السنة الجامعية 2019م-2020م.

12. سعادة لعلى، أدب الهامش...نغمة للغناء وأخرى للبكاء، (مقال)، كلية الآداب واللغات، جامعة محمد خيضر، بسكرة، Laala.chi3r@hotmail.fr

13. سعيدة خلوفي،انطولوجيا الأدب االهامشي بين النقد والوظيفة(رواية الخيال العلمي أنموذجا)، مجلةالأثر، العدد24، جامعة باجي مختار عنابة (الجزائر) ، مارس 2016م.

14. سليمان كاصد، جريدة الاتحاد، (مقال)، بعنوان "إبراهيم الكوني"، أبحث عن الأسطورة لكي تخلقني، الخميس2008/03/06م.

15. عبد الصمد جلايلي، التناص الأسطوري في رواية "الورم" لإبراهيم الكوني، مجلة الأثر، العدد 30، جامعة مستغانم(الجزائر)، جوان، 2018م.

16. عبد الصمد جلايلي، الفضاء الأسطوري في روايات إبراهيم الكوني، شهادة دكتوراه، جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم(الجزائر)،2017م/2018م.

17. فيصل أبو الطّفيل، رواية الورم لإبراهيم الكوني ونبوءة الربيع العربي، بحث نشر بكتاب أعمال مؤتمر الرواية العربية في الألفية الثالثة ومشكل القراءة في الوطن العربي.

18.محمد وارجو، الطوارق الشعب الأمازيغي المنسي، جريدة تمازيغت.

19. نور الدين باكرية، الشعر المغاربي المعاصر من مركزية سلامة اللغة إلى تقويض قواعد اللغة عبر اللغة الشعبية، مجلة مداد الآداب، عدد خاص بالمؤتمرات، جامعة الجزائر، 2018م-2019م.

20. نوال مدوري، تشكل الفضاء والزمن الأسطوري في رواية "عشب الليل" لإبراهيم الكوني، مجلة كلية الآداب واللغات،العدد21، جامعة تبسة(الجزائر)، 2017م.

المواقع الالكترونية:

1. إبراهيم الكوني، روائي http// pdw.com/p/12rwc بتاريخ 18 أكتوبر 2011، 12:54.

2. كمال الريحاني، الفلسفي في عشب الليل، لإبراهيم الكوني، ينظر الموقع : www.diwanalarab.comبتاريخ12 جانفي2007م.

المحتــوى	رقم الصفحة
إهداء	
شكر وعرفان	
مقدمة	أ–د
المدخل:الهامش ومفاهيمه.	
أولا:مفهوم الهامش لغة واصطلاحا.	7/6
ثانيا:الدراسات في االهامش.	07
1–الهامش اجتماعيا.	07
2–الهامش اقتصاديا.	08
3–الهامش سياسيا.	09
4–الهامش أدبيا.	10
ثالثا: مفهوم أدب الهامش.	11
رابعا: تاريخ أدب الهامش.	12
الفصل الأول:الهامش والنماذج الإنسانية	
أولا: الشخصيات الرئيسية.	16
ثانيا: الشخصيات الثانوية.	29
ثالثا: شخصية المرأة المهمّشة في رواية الورم.	34
رابعا: شخصية المرأة المهمّشة في رواية عشب الليل.	36
الفصل الثاني: الهامش والنماذج الاجتماعية.	
أولا: المجتمع الصحراوي (الطوارق).	39

ثانيا: الظلم والانتقام.	**40**
ثالثا: اللباس والتعري في المجتمع الصحراوي.	**42**
رابعا: المجتمع الأمومي (المرأة والزواج).	**43**
خامسا: المجتمع الوثني.	**44**
سادسا: العتمة والسواد.	**45**
سابعا: العزلة الإجتماعية.	**47**
ثامنا: الظلمة وتيمة الليل.	**48**
خاتمة	**53**
الملاحق	**55**
قائمة المصادر والمراجع	**63**
فهرس الموضوعات	**68**

ملخص الرواية بالعربية:

إن الهدف من دراسة هذا البحث الذي موضوعه " نماذج المهمشين في روايتي الورم وعشب الليل"، هو الكشف عن النماذج الإنسانية والاجتماعية وصورة المهمش في المجتمع الصحراوي.

حيث اعتمد إبراهيم الكوني على نمط مغاير لما هو متداول في الساحة الروائية العربية، حيث قدم لنا في رواية "الورم" تصويرا جديدا لمفهوم السلطة، باعتبارها هوسا يملك صاحبه وسواسا يسيطر على جسده وروحه.

وفي رواية "عشب الليل" كشف لنا هوية شعب مهمش وضائع، تمثلت في الصراع بين عالم الأخلاق المثالي الطاهر وعام الجسد الدنيوي والمادي وعشق الظلام والسواد، الذي يحيل إلى السيادة والسلطة وخرق نواميس الصحراء.

الكلمات المفتاحية: الورم، عشب الليل، الهامش، السلطة، الحكم، السواد.

Résumé:

Le but d'étudier cette recherche, Dont le sujet est les modèles marginalisés dans les romans la tumeur et l'herbe de la nui, il révèle une image des marginalisés et des modèles humains et sociaux.

Ou le romancier Ibrahim Al-koni a été adopté dans un modèle différent de ce qui est échangé dans l'arène romancier arabe, où il a présenté une image dans le roman tumoral une nouveau, au concept d'autorité. En tant que propriétaire obsession qui contrôle son corps et son âme. et dans le roman de l'herbe de la nuit, il nous a révélé l'identité d'un peuple marginalisé et perdu c'était la lutte entre le monde parfait immaculé de la morale et le monde du corps mondain et matériel et l'adoration des ténèbres et des ténèbres Qui fait référence à la souveraineté et à l'autorité et à la violation de la loi du désert.

Mots clés : Tumeur, L'herbe de nuit, Marge, salade, Jugement, Noirceur.

تم بحمد الله